الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي سعيدة
كلية الآداب واللغات والفنون

اللسانيات واللغة العربية عند عبد الجليل مرتا ض

"دراسة في المنهج"

مذكرة التخرج في اللغة والأدب العربي

التخصص: اللسانيات العامة

من إعداد الطالبتان :

دوار تركية

كوداد زينب

تحت إشراف الأستاذة:

بلحيارة خضرة

السنة الجامعية :2017 / 2018

شكر وعرفان

قال تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم "فما بكم من نعمة فمن الله".

فله جزيل الشكر والثناء فالحمد لله على ما أنعم وأهدى ووفق والحمد لله الذي أنعم علينا بأشخاص أخذوا بيدنا إلى الطريق والنور المبين، نور العلم والمعرفة، ولم يبخلوا علينا في مشوارنا العلمي.

رغم عبارات الشكر والامتنان، إلا أننا نكاد نكون عاجزين في هذا المقام، إلا أننا نتقدم بأسمى عبارات الحب والشكر والعرفان إلى أستاذتنا الكريمة :الأستاذة المحترمة:بلحيارة خضرة التي لا طالما كانت السند والمدد في هذا الميدان وكان شرف كبير لنا أن نعمل معها ، لإخلاصها ووفائها ومعاملتها الطيبة معنا ، هذا ما دفع بنا إلى البحث والجد .

كما لا ننسى جميع الأساتذة الكرام مع فائق الشكر والاحترام.

إهداء

إلى أعز الناس الذين ينتعش قلبي بذكرهم، إلى من أحبوني بصدق ولم يبخلو عليا بكرمهم ، إلى إخوتي الأعزاء ، بن سيرات ، توفيق ....إلى أخواتي، إلى من خصه الله بالهيبة والوقار،إلى من علمني العطاء بدون انتضار،إلى من أحمل اسمهما بكل افتخار،إلى الوالدين الكريمين،ها قد حان قطف ثمار الجهد بعد عناء وسهر،إلى من تعجز الكلمات عن وصفها وحنانها،إلى التي كانت الرفيق الدائم في المشوار الدراسي، ومازالت الرفيق الدائم ،إلى زينب كوداد الغالية على قلبي ،إلى الذي غمرني بصدقه ووفائه،إلى الذي لاطالما وقف بجنبي ولم يبخل عليا بشيىء من عنده، إلى الصديق الوفي الطيب .

أمينة ،السواقية،خيرة ، مريم ، عبد الله، نسرين، إلى براشد،إلى رفيقات الدرب:وردة، سهيلة، يسرى، أمنة،نعيمة،إلى كل من كانوا السند والمدد في هاته الحياة إلى أعز الناس الغائبين على قلبي : نسيمة ، حفصة ، خالتي القايمة،إلى أخي العزيز الغائب : عبد القادر

دوار تركية.

إهداء

إلى الذي يعجز اللسان عن شكره،وتعجز العبارات عن وصفها،إلى من علمني الصبر والاخلاص في حياتي،والذي قدم لي لحظة السعادة،وحصد الأشواك عن دربي،ليقدم لي لحظة السعادة إلى القلب :وادي العزيز.

. إلى ينبوع الحنان والرأفة والغفران إليك أنت يا أغلى وأحلى كلمة نطقت بها شفتاي : أمي العزيزة،إلى حبيبة القلب وقرة العين وبسمة الحياة،ورفيقة الدرب :إليك : دوار تركية،قالوا لي القمر قلت لهم :علي،وقالوا لي الذهب قلت: لهم غالي، وقالوا تركية قلت: لهم ديما في بالي ،إلى رفيقي المخلص الصديق الطيب والحنون: إليك الطيب ، إلى القلوب الطاهرة ، إلى كل من كان له الفضل وكان السند الدائم في هذا العمل المتواضع إلى كل القلوب الرحيمة،إلى إخوتي وأخواتي مع تمنياتي لهم النجاح وخاصة أختي في شهادة التعليم الابتدائي إلى صديقاتي الطيبات ، يسرى ، سهيلة، وردة ، تركية إلى كل الناس الطيبين.

كوثار زينب

مقدمة

حمدا لله الذي جعل اختلاف الألسنة بين بني الإنسان إحدى آياته ودلائل قدرته،وخص العرب بمزيد من الفضل حين أنزل كتابه القرآن الكريم ـ بلسانهم فسمى فوق العديد من الألسنة البشرية.

والصلاة والسلام على من ألهمه ربه سر البيان فخاطب العرب قاطبة بما لهم من لهجات ومنطق فكان إحدى معجزات بيانه وصدق رسالته الخالدة.

اللهم صلي وسلم عليه الذي نزل عليه الروح الأمين بالكتاب المبينال وذكر أمته بين الأمم إلى يوم الدين:إن أهمية موضوع اللسانيات الذي يعد علما قائما بذاته ويهتم بدراسة اللسان بمختلف جوانبه الشفوية والكتابية،وكذا العادية والمرضية،فهو لا يختص بدراسة الآليات التحليلية للفهم والإنتاج اللغوي للشخص العادي فقط، يتعدى ذالك ليشمل تحليل الاضطرابات اللغوية التي قد تظهر أثناء مراحل اكتساب اللغة ،أو تلك التي تنتج عن الإصابة الدماغية بصفة مباشرة في التوظيف العادي للكلام.

وفي هذه الحالات تمكننا اللسانيات من استغلال النماذج اللسانية النظرية في تحليل كلام المصابين قصد تفسير الظواهر المرضية التي تصيب الكلام.

أما بالنسبة إلى أهمية موضوع اللغة العربية فهي تمتد إلى العلاقة الوطيدة بينها وبين الثقافة والهوية الخاصة بالشعوب،فهي وسيلة التواصل بينهم،وهي التي تعبر عن تفكير لأمم،والوسيلة الأولى في نشر ثقافات الأمم المختلفة حول العالم،وبما أن اللغة العربية هي المسؤولة عن كل هذه الأمور فهي إذا التي تشكل هوية الأمة الثقافية التي تميزها عن باقي الامم.

إن اللغة هي الوعاء الأساسي الذي يحتوي العلوم،والتكنولوجيا،والثقافة ،والتاريخ، والحضارة،والهوية فإن استطاعت أمة المحافظة على لغتها ستكون من أكثر الأمم تقدما وتطورا.

إن هذه المذكرة تحمل في طياتها العديد من القضايا المهمة حول اللسانيات وهي بعنوان "اللسانيات العربية عند عبد الجليل مرتا ض"،"دراسة في المنهج ".

هذا الموضوع دسم وثري بالقضايا اللسانية المهمة،كونه مجال تخصصنا وهذا نظرا للجهود اللسانية التي قام بها هذا الباحث في هذا الميدان،كما أن سبب اختيارنا لهذا الموضوع كونه يصب في مجال تخصصنا ووجود مذكرة موسومة بالجهود النحوية لعبد الجليل مرتا ض طالب"محمد محمود بن الساسي "بجامعة قاصدي مر باح ورقلة

وقد ذكرت جهود عبد الجليل مرتا ض وفندت أعماله وبينت منهجه في الدراسة اللغوية وهي من الأعمال القليلة في حق الباحث وغفلة الباحثين،لهذه الأعمال أو إهمالهم المتعمد لها،وعدم تقديرهم لأهميتها اعتقادا منهم أنها لا تضيف جديدا على ما هو موجود من الجهود،كذلك ما لمسناه بأنفسنا من الجهل الكبير من قبل طلبتنا لجهود الدارسين اللسانيين واللغويين الجزائريين،ولكل هذه الأسباب أردنا بهذا العمل أن نلفت انتباه الباحثين والدارسين،والقراء على حد سواء لوجود تلك الجهود حتى تنال الاهتمامات والعناية اللائقة.وبما أن مذكرتنا أن تكون هذه الدراسة مجرد حصر لهذه الجهود وتوضيح لمنهجه واهتمامه.

ويطرح هذا البحث إشكالية تنطلق من طرح هذه التساؤلات التي نحاول الإجابة عنها وتتلخص في:

ـ ما هي الجهود اللسانية واللغوية التي بذلها عبد الجليل مرتا ض،والقضايا التي عالجها؟.

ـ كيف عالج الكاتب تلك القضايا، وما هي المناهج التي استخدمها في ذلك ؟.

كما نرى لهذا البحث أهمية كبرى تتمثل في الآتي:

ـ كونه يتناول موضوعا جديدا يتناول جهود الدكتور،وأما الهدف من هذا العمل يتمثل في تعريف القارئ بجهود الباحث في اللسانيات واللغة العربية،وكشف الغطاء عن تلك الجهود التي مازالت مجهولة لدى المتلقي،وقد اهتممنا بجمع مجموعة من المطبوعات الخاصة بالباحث التي تتفرع كل منها إلى البحث اللساني واللغوي وإبداع من بينها نذكر:

1ـ المطبوعات الدينية في حياتنا المعاصرة من مجلة تبيين 1990.

2ـ أعمار....من مجلة التبيين،نوفمبر 2005.

3ـ تعليمية النص الأدبي في التعليم الثانوي من مجلة اللغة العربية،مارس 2000.

4ـ تجار عربية في تفصيح العامية من مجلة اللغة العربية,أكتوبر 2004.

5ـ الوضع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد الفرنسي من مجلة اللغة العربية، يناير 2005.

6ـ ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث من مجلة اللغة العربية، يونيو 2005.

7- فضاءات لغوية في المتوسط الكافي للعلامة موسى الأحمدي من مجلة اللغة العربية،يونيو 2005.

8- التحري المنهجي لدى جماع اللغة العرب من مجلة اللغة العربية، أغسطس، 2007.

9- المقاربة السيميائية لتحليل الخطاب الإشهاري من مجلة اللغة العربية،يونيو،2008.

10- الدلالة والمعنى لسانيا من مجلة اللغة العربية، يونيو،2010.

11- إشكالية الزمن الخطابي والقراءة من مجلة عيون المقالات أغسطس، 1993.

12- العربية في ظل العولمة من مجلة اللغة العربية،يوليو،2012.

13- إشكالية المصطلح اللساني والترجمة من مجلة معالم يناير،2011.

أما عن مجال الإبداع فقد تألق الباحث في فن الرواية،وأعطاها صبغة خاصة حين وظف عناصر من مكونات الثقافة الجزائرية والعربية،فجمعت رواياته بين الاقتباس القرآني والاقتباس من الشعر العربي،كما وظف عنصر العجائبية (السحر والجن ...)،وهذه عناوين لروايته المطبوعة:

- رفعت الجلسة(مطبعة النيل، القاهرة،1989).

- عقاب السنين(رابطة الأدب العربي الحديث، القاهرة، 1990).

-دموع وشموع(إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2001).

- أنتم الآخرون(دار الغرب،وهران،2004).

- لا أحب الشمس في باريس(دار هومة،الجزائر،2005).

- ما بقي من نعومة أظافر الذاكرة (دار الغرب،وهران،2007).

وأيضا قمنا بجمع عدد الدراسات اللسانية واللغوية التي قام لها الباحث:

أ- الدراسات اللسانية ونجد فيها:

1- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب(دار أشرف، بيروت،1988).

2- التحليل اللساني البنيوي للخطاب (دار الغرب،وهران،1993).

3- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي (دار الغرب،وهران).

4- مفاهيم لسانية ديسوسورية(دار الغرب،وهران)

5- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية(دار هومة،الجزائر).

6- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية(دار هومه الجزائر،2007).

7- مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث (دار ثالة،الجزائر).

8- علم اللسان الحديث في القرآن (دار مجلة اللغة العربية الجزائر،1994).

9- دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة (دار هومه،الجزائر)

ب:الدراسات اللغوية ونجد فيها:

1- العربية بين الطبع والتطبيع(ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1993).

2- الموازنة بين اللهجات العربية(دار الغرب).

3- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى (دار الغرب،وهران).

4- مقاربات أولية في علم اللهجات (دار الغرب وهران).

5- اللغة والتواصل(دار هومه الجزائر).

6- التهيئة اللغوية للنحت في العربية(دار هومه الجزائر).

7- في مناهج البحث اللغوي (دار القصبة،الجزائر،2003).

8- دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث(دارثالة الجزائر،2005).

9- في رحاب اللغة العربية (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر).

10- في عالم النص والقراءة(ديوان المطبوعات الجزائرية،2006).

11- البنية الزمنية في القص الروائي (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1993).

واعتمدنا في هذه الدراسة على عدد معين من المؤلفات التي تخص الباحث وهي :

1- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب (دار لأشرف بيروت - 1988).

2- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي (دار الغرب).

3- مفاهيم لسانية ديسوسيرية (دار الغرب وهران).

4- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية (دار هومه الجزائر).

5- دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة (دار هومه الجزائر).

6- العربية بين الطبع والتطبيع (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر-1993-).

7- اللغة والتواصل(دار هومه الجزائر)

8- التهيئة اللغوية للنحت في العربية (دار هومه الجزائر).

9- في رحاب اللغة العربية (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر).

10- في مناهج البحث اللغوي (دار القصبة -2003-).

كما اعتمدنا في هاته المذكرة على" المنهج الوصفي " وهذا لملائمته لطبيعة العمل فقد كان همنا أن نحدد تلك الجهود فنعرفها للقارىء ليكون على علم بها ،وليتعرف من خلالها على خصائص التفكير اللساني واللغوي ،واجهتنا العديد من الصعوبات في هذا العمل ،قلة المصادر كونه موضوع عصري ،كما تكمن الصعوبة استيعاب البحث وتطبيقه خاصة في قراءة الكتب واستنباط ما فيها من فائدة.

وحتى يحقق البحث أهدافه ،ويأتي هذا المنهج بثماره اتبعنا في هذا العمل خطة وهي كالآتي :

وتحوي كل مقدمة ما يتعلق بالموضوع

- مدخل:وتناولنا فيه المنهج التاريخي في الدراسات اللسانية واللغوية الجزائرية بعد الاستقلال

- الفصل الأول:تطرقنا فيه إلى اللسانيات عند عبد الجليل مرتا ض

- المبحث الأول:اللسانيات وقضاياها الأساسية

ـ المطلب الأول:مفهوم وتاريخ اللسانيات وتطورها.

ـ المطلب الثاني:مبادئ اللسانيات وفروعها .

ـ المطلب الثالث:أهمية الموروث اللساني.

ـ المطلب الرابع:القضايا التي تثيرها اللسانيات.

ـ المبحث الثاني:دراسة منهج عبد الجليل مرتا ض.

ـ المطلب الأول:ترجمة عبد الجليل مرتا ض.

ـ المطلب الثاني:منهج البحث في كتاب "في رحاب اللغة العربية".

ـ المطلب الثالث:منهج البحث في كتاب "دراسة في الساميات واللهجات العربية القديمة".

ـ المطلب الرابع:منهج البحث في كتاب " العربية بين الطبع والتطبيع".

ـ الفصل الثاني: ويحوي: اللغة العربية عند عبد الجليل مرتا ض.

ـ المبحث الأول:اللغة العربية وعملية التواصل.

ـ المطلب الأول:مفهوم عام للغة العربية .

ـ المطلب الثاني:تعريف اللغة العربية لغة واصطلاحا.

ـ المطلب الثالث:خصائص ووظائف اللغة العربية.

ـ المبحث الثاني:جهود عبد الجليل مرتا ض في تعليمية اللغة العربية.

ـ المطلب الأول:تحديات تعليم اللغة العربية في الجزائر.

ـ المطلب الثاني:الجهود العلمية لعبد الجليل مرتا ض في اللغة العربية.

ـ خاتمة:والتي كانت عبارة عن استنتاجات حول موضوع اللسانيات وكل الجهود التي بذلها عبد الجليل مرتا ض في هذا الميدان.

ـ مجموعة من الملاحق الخاصة بإبداعات وكتابات عبد الجليل مرتا ض.

ـ قائمة المصادر والمراجع.

بالإضافة إلى فهرس المحتويات.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتي الوفية التي لا طالما كانت السند في هذا العمل ،وإلى كل الأساتذة الكرام مع كل التقدير والاحترام لهم.

مدخل

لايشك عاقل منصف في أن اللسانيات واللغة العربية تمتلكان من الخصائص والمقومات الذاتية مايؤهلهما إلى ساحة الشهود الحضاري، غير أنه كل ذلك غير كاف لجعل اللغة العربية عالمية. واللسانايت الحديثة معروفة لدى الجميع، مالم يفكر في العوائق الحقيقة وكذا الموضوعية والعلمية. كل من أصحاب القرار السياسي وعلمائها، حتى يدفع باللسانيات واللغة العربية في العودة للساحة العالمية من جديد.

وفي سبيل تعزيز جهود ترقية اللسانيات واللغة العربية، وبيان سبل تجديد منطلقات البحث العلمي في مجالات تعليمية اللغة العربية، وأيضا لأجل أن نضم جهدنا إلى الجهود التي تصب في خدمة اللسانيات واللغة العربية لتكون لكل منهما القدرة على الصمود والتكيف والتجاوب وتحقيق الإنسجام اللغوي والتواصل الثقافي بين العرب وغيرهم من الشعوب الأخرى في ظروف مايسمى بالعولمة.

وللبحث عن كيفية يمكن أن تقدم مدخلا من مداخل الجهود اللسانة وتعليم اللغات بالنسبة للدكتور **عبد الجليل مرتاض** وغيره من الباحثين ويتضح ذلك أكثر من خلال منطلقنا إلى دراسة منهج عبد الجليل مرتاض التاريخي، بحيث أنه يتوخى دراسة اللغة من جميع جوانبها دراسة زمنية تبعا لتطورات اللغات المتعاقبة، ولربما يقدم البعض هذا المنهج من خلال ربطه باللسانيات الخارجية التي لاتقضي دراستها الأفكار النحوية والفَقْلُغِيَة وحت الفلسفية حول أسس الثقافة والمعرفة وحول العلاقات بين الفكر ووسائله في التعبير.[1]

إن المنهج التاريخي يتناول اللغة وقواعدها ونصوصها وتراكيبها وحتى أصغر وحدة صوتية دالة أو غير دالة فيها تناولا كظاهرة منذ ميلاد حدوثها، وليس ملزما بدراسة ما يشاء من الظواهر اللغوية في زمن قريب أو بعيد، ولذا فقد يتناول إحدى

[1]- الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، ميشال زكريا، ط2، 1983، ص201 .

هذه الظواهر أو المعارف اللغوية في عصر بعيد جدا، ليبعثها فيقدمها لنا على شكل عمودي تبعا لتسلسلها الزمني، حتى وإن البعض الآخر لا يرى " المفهوم الذي يشطر اللغة شطرا ثنائيا أو ثلاثيا وهو الإطار الذي يصلح للدراسة اللغوية في مطلق الأحوال".[1]

ولم يكن صعبا على المهتمين بالدراسات اللغوية أن يحتاروا طويلا لإدراك الأسس المنهجية لمعالجة القضايا اللغوية علاجا تاريخيا، مادام المسار الطبيعي للغتنا مرتبطا بالمجموعة التي تمارسها من جهة وبنشأتها التاريخية من جهة ثانية : ولذا حاول هؤلاء المهتمون منذ عهد بعيد أن يبحثوا عن النواميس والضوابط التي تتحكم في لغتنا متسائلين عن عللها وإطرادها وشذوذها وتغيرها وتطورها،..... منتهين إلى نتيجة " أن الألسنية البشرية تتغير مع الزمن بالضرورة وتغيرها يقضي إلى انسلاخ صور لها بعضها من بعض حتى تفارق على التدرج هيئتها الأولى كليا".[2]

وبعدما استيقن هؤلاء المهتمون بالدرس اللغوي على نهج تاريخي لاستحالة فصل منهج عن موضعه ولا ظاهرة اجتماعية عن مجتمعها وزمنها بصور عشوائية عدلوا عما كانوا منغمسين فيه من ذي قبل عن لغة الأم واحدة بالاعتماد على مراجع لغوية تاريخية جوفاء، مثلما نجد ذلك في بداية القرن التاسع عشر لدى **قيشار** (Guicha)

الذي كان يعتقد أن كل اللغات البشرية تنحدر من اللغة العبرية، حيث كان يفسر تطورها بزيادة حروف تارة وحذف بعضها الآخر.

ـ لكن الأبحاث اللغوية التاريخية " أظهرت المسائل العامة للبنية والتطور المطروحين من قبل اللغات، ومكنت اللغويين ولاسيما منذ بداية القرن العشرين من ان يلتزموا بأسس جديدة في إطار أبحاث ذات طابع عام."

[1]- دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة، ميشال عاصي، ط1، 1979، دار ابن خلدون، بيروت، ص 92.
[2]- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، ط 1986، ص 115

ـ وخلال هذه المدة أصبح اللغويون يدرسون الأشكال اللغوية وفق تطوراتها التاريخية انطلاقا مما تأسست عليه الفلسفة الزمنية التي كانت تذهب إلى أن " حقيقة الظواهر كامنة في غيرها لا في ذاتها لأنها مستمدة من العلل والأسباب السابقة في وجودها على وجود المسبب والمعلول، فاعترضت الآنية بالقول: إن حقيقة الظواهر كامنة في ذاتها لا في غيرها باعتبار أنها مستمدة من تضافر الأجزاء داخل نظام الكل الواحد. وهكذا قامت للزمنية على تقدير الظواهر في ماهيتها وفي جدلها، في حين قامت الآنية على تقديرها في وجودها: فجوهر الشيء هو في وجوده ووجوده كامن في بنيته ونظامه. "[1]

ـ ولكي ندرك البعد المنهجي بين ماهو زمني وتزامني، ينبغي أن ندرك أولا البعد الجوهري الكامن بين ما هو خطاب لغة ولغة خطاب، فهذه الأخيرة أسبق دوما من الأولى وتعد القاعدة الأساسية بل المرجعية لها، وبدونها لن يكون هناك خطاب لغة حتى ولو كان هذا الخطاب بدائيا.

ـ لا أحد يختلف مع الآخر بأن الخطاب مسار ذو بعد خطي يسلك مسلكا أفقيا ولكننا نجده في الوقت نفسه يصاحب منهجا وصفيا أو زمنا تقديريا لا طبيعيا وأكثر من هذا أن اللغة كظاهرة جاهزة باعتبارها لغة خطاب تقابل التزامنية وأن إنتاجها باعتباره خطاب لغة يقابل الزمنية، وإذن فهل لنا أن نعكس اللغة بإنتاجها؟

ـ إن عبارة "النماء" لغة في الجاهلية لا تستدعي "الزكاة" شرعا وفي الإسلام، بينما حضور "الزكاة" يظل متقابلا بـ "النماء" ومثل هاتين العبارتين "الصيام" في مدلوليه: اللغوي الدال على الإمساك فقط، والشرعي المعروف عند المسلمين بمعنى أن ما هو خاص بالفئات الزمنية ليس من ترتيب واحد خلافا لوقائع الفئات التزامنية التي

[1]- في مناهج البحث اللغوي، عبد الجليل مرتاض، ط 2003، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 52.

تستدعي باستمرار عبارتين متزامنتين، بحيث تكون كل عبارة منسوبة لحالة غير الحالة الأخرى.

ـ إن التزامنية تنطلق من لغة الخطاب لا من خطاب اللغة، لأنه من جهة لا يمكن لأحد هذين الجانبين أن يحل محل الآخر أو يمثل أحدهما في الوقت نفسه الجانبين معا، ومنة جهة ثانية أن لغة الخطاب هي التي تشحن بمدلول جديد مع الاحتفاظ بنص الدال الصوتي التاريخي، أما خطاب اللغة فإنه يجنح دائما إلى الثبوت والاستقرار على الرغم من أنه قد يهجر أحيانا أو غالبا حسب الحالات الخطابية الثرية أو القليلة التي تشير انتقالها من خطاب إلى خطاب عوامل طارئة قط في الحسبان.

ـ ولعل البعض يسمنا بالجنون أو ينعتنا بالوهم والتحريف إذا ذيلنا هذا الفصل بإشارة حول بعض الرؤى المنهجية التراثية العربية التي لمست إلى حد ما المنهجين: التزامني والزمني، بل ربما من الصعب على كل متمكن من الدرس اللغوي المعاصر

وغير ملتفت إلى هذا التراث اللغوي العربي العزيز والنادر أن يصدقني، إذ قلت له بأني فهمت التزامنية والزمنية لدى **دوي سيسير** من خلال تعمقي ومراجعتي عشرات المرات لبعض ماورد **الزجاجي** في كتابه "الإيضاح في علل النحو".

ـ مما جاء في الإيضاح أن العناصر اللسانية كلها أفعال للمتكلمين الناطقين بها ولا علاقة لمداليلها بدوالها " وكل واحد منها له نحو في كلامهم ليس للآخر، ووجه ينفرد به "[1] مؤكدا على إن تلك العناصر ما هي إلا عبارة عن أفعال المتكلمين يعبرون بها عن تلك الأفعال ثم لا نلبث أن نقرأ فيه: " والحركة لا تبقى وقتين " لأن العناصر اللسانية كحرف الجر مثلا لا تدل على ذاتها بل على ما توظف فيه من خطابات،

[1]- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، دار العروبة، ص 43.

فحرف الجر "من" مثلا إذا دل على التبعيض في الكلام فهو يدل على تبعيض غيره لا على تبعيضه نفسه وكذلك سائر حروف المعاني.

لاشك أن هذا أمر غير ممكن، لأن السلسلة الكلامية هي تعاقب وحدات لسانية على مستوى سانتغمي، ولايمكن للغتنا حتى كما هي في ذاتها ثابتة بدون إستعمال تمثل بعدا حياديا لادخل له في الزمن ولا التزامني، لأنها لاتفلت من هيمنة زمنها وتاريخها والمتواصلون بها.

ـ ومع ذلك فإنه يجب أن نعترف بأن العناصر اللسانية متضامنة تزامنيا أكثر مما هي متكافلة زمنيا، لأن ما يستعمل من عناصر لغوية اليوم قد لا يستعمل هو نفسه غدا، ولربما استعمل لكن بكيفية متباينة مع أي استعمال سابق، ولقد فطن إلى هذا بعض فقلغيينا القدماء كقول ابن فارس: " كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله ـ جل ثناؤه ـ بالإسلام

حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفي الآخر الأول... فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم،.... وكذلك كانت لاتعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافق اليربوع. ولم يعرفوا من الفسق إلا قولهم، فسقت الرطبة إذا خرجت منة قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ ومما جاء في الشرع والصلاة،

وأصله في لغتهم الدعاء، وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود وإن لم يكن على هذه الهيئة،..."[1]

ـ وإذا فالمنهج التاريخي أضحى يقصد به اليوم كل ما هو متعارض مع المنهج الوصفي على أن الأول يدرس اللغة من وجهة نظر تطورية كنص **ابن فارس** بينما الثاني اللغة في حالة معطاة بكيفية محددة، بحيث إما أن نتحدث عن المنافق بمعنى نافقاء اليربوع في اللغة الجاهلية أو نتحدث فقط عن المنافق بمعنى أنه يظهر غير ما يبطن في اللغة القرآنية.

ـ إن المنهج التاريخي لا يكتفي بوصف الظاهرة آنيا من الداخل حسب وجودها في التركيب في لحظة معطاة، بل يتصدى لتفسيرها وتتبع تطورها وذكر المراحل التي عملت أو أثرت فيها، إن العامل الخارجي الذي أثر في الكلمات التي ذكرها **ابن فارس** مثلا هو الإسلام.

وبالنسبة لدى **سوسير** الذي كان أول من أشار منهجيا إلى نوعين من اللسانيات فإنه يقول: " إن عبارتي تطور وألسنية تطورية هما أكثر دقة وكثيرا ما نستعملها، ومقابلة لذلك يمكن الحديث عن علم حالات اللغة أو الألسنية السكسونية " ولا يتضح هذا التقابل كليا، فإننا نؤثر الكلام على الألسنية " التزامنية والأخرى التزامنية " وهذا تقاطع لنوعين من الظواهر المتعلقة بالغرض نفسه فالتزامني هو ل ما يتعلق بالجانب السكوني من علمنا هذا والزمني هو كل ما يمت بصلة إلى التطور وهذان معا يدلان على حالة لغة وعلى مرحلة تطور يشكل متعاقب ."[2]

وإذا كان الوصف التزامني يتعلق بكل ما هو سكوني فإن الأمر غير كذلك بالنسبة للسانيات الزمنية أو التطورية حيث الفرق بين الوصف والتفسير، أمر أساسي وهو ما

[1]- فقه اللغة، ابن فارس، بدران للطباعة والنشر، بيروت، ط 1963، ص 78-80.
[2]- محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير، ط 1984، دار نعمان للثقافة، بيروت، ص 103.

يدل في الاستعمال الشائع في اللسانيات الوصفية بالتعارض مع اللسانيات التطورية ففي دراسة دياكرونية (زمنية أو تطورية) من الضروري ان نبحث عن العوامل المسببة لهذا التطور وكان **أندريه مارتين** عام 1955 في اقتصاد التبدلات الصوتية أول من طرح مبدأ التفسير السببي في الدياكرونية وكان هذا في إطار اللسانيات الوظيفية والبنيوية، فالبنية له أن مبدأ قاعدة التطور يعد ضرورة لإبقاء التمييزات المجدية في التواصل عبر التبدلات المحددة بواسطة التطور وتحويل الاحتياجات التواصلية للإنسان على مدى الأعمار، لهذا السبب وضع مارتني الصلة بين العوامل الوظيفية والعوامل البنيوية..... ولاستعمال هاتين الوجهتين المختلفتين، فلنتأمل في الفرنسية دراسة الوحدة الدالة **Père** (أب) مثلا الذي يدرسها دراسة تزامنية يكتفي بوصف الوحدات الصوتية الثلاث p–e–r التي تشكل دالها ملحا على الحياد، أما دارسها زمنيا فإنه سيتابع دراستها إنطلاقا من الكلمة اللاتينية **Pater** متبعا كل التبدلات.

التي أفضت إلى Père وسيدمج هذه الدراسة الجزئية في التطور البنيوي من اللاتينية إلى فرنسية اليوم أن المنهج السانكروني منذ أن سرعة **دي سوسير غدا** يجتهد في إظهار علاقات مجموعة في وقت معطى الظاهرة بحث معينة سواء تعلق الوضع الحاصل بالبحث في اللغة أم في سواها من النصوص الأدبية على أن المنهج التاريخي،كما أشرنا أزيد من مرة يجتهد في بحث علاقة ظاهرة لغوية أو ثقافية بالارتكاز على تسلسلاتها المستخدمة عبر الزمن، إن المنهج أو الزمني مرتبط بتطور اللغة كلما أراد أن يعالج ظاهرة من ظواهرها،وهو غير ملزم بحقبة من حقبها إلا إذا كانت حقبة من هذه الظاهرة أو المدونة محددة من تلقاء نفسها كأن يتجمد تطورها غلى حين أو يرتبط مدلولها بانتهاء عصر معين، وتطور لغتنا يمكن أن يؤثر في الحقول التالية:

1. **الدال الصوتي** مثل: نطق الصوامت والصوائت، وكما نجد في موسيقى الأوزان الشعرية كالعروض.

2. **التنظيم السانتاكس:** ويكون ذلك في أقسام الخطاب التي تتباين عددا وتراكيبا من لغة إلى لغة أخرى، وفي بناء الجمل، وما يسمى عادة بالإتباع **Subordination** والعطف **Coordination**.

3. **أصناف المعنى أو الدلالة Signification** الخاصة بالجرد المعجمي والفئات النحوية وتطور المعنى وعلاقات الدلالة.

هذا إلى جانب الأنظمة الكتابية الصوتية، ويرى بعض النبهاء من الدارسين المعاصرين أن ثمة فرق بين ما هو دياكروني **Diachronique** وتاريخية **Historique** بحيث يقتضي الثاني الأخذ بعين الإعتبار لفترة أو حقبة زمنية،

بينما لا يتعلق الأول إلا بالترابط وتحويل وقائع اللغة ويمكن أن يطلق دياكروني أيضا على دراسة التطور في أنظمة هي قبل اي شيء محجوز عليها من قبل ما هو سان كروني أو المرور من حالة إلى حالة أخرى على أن نأخذ بعين الاعتبار بنيتي الحالتين معا.[1]

وإن ما يراه دي سوسير حول هذه الثنائية المنهجية التي لم يتردد في استحيائها من ظواهر اجتماعية واقتصادية وجغرافية وعلمية لا تمت بصلة إلى لغتنا الإنسانية، إنه لابد من اللسانيات منهجيا إلى هذين الجزأين في كل شيء، ومنهما المنهجان التعاقبي والوصفي.

[1]- في مناهج البحث اللغوي، عبد الجليل مرتاض، ط 2003، دار القصبة للنشر، ص 58.

ويرى أن كون اللغة منظومة قيم معقدة ومنتظمة بشكل دقيق هو الذي حتم علينا دراسة اللغة دراسة متعاقبة بحسب هذين المحورين الأفقي والعمودي، وذلك راجع إلى تعقيدها الداخلي نفسه وليس إلى معطيات طبيعية، ولهذا السبب كان لزاما أن نميز بين منهجين، ولكون التاريخ السياسي يشمل وصف حقب زمنية وسرد أحداث، فإنه لا مانع من دراسة لغتنا تبعا لمحور الزمن، واضعين من خلال ذلك حالات لغوية متعاقبة، متصورين الظواهر التي تنقل اللغة منعزلة من حال إلى حال أخرى ولذا فاستخدام عبارتي " تطور وألسنية تطورية " أفضل من استخدام عبارتي " تاريخ " و " ألسنية تاريخية " لاستدعاء هذين الأخيرين أفكارا غامضة جدا وبهذا نستطيع أن نميز ما يتعلق بالجانب التطوري. وأول ما يلفت نظرنا لوقائع اللغة هو[1] عدم وجود تعاقبها الزمني إذا ماقارنا بالمتكلم الناطق الذي لايتاح له وهو يتكلم إلا أن يوجد أمام حالة واحدة وليس أمام حالتين في الآن ذاته، مما يتحتم على الباحث اللغوي الذي

يتصدى إلى فهم هذه الحالة أن يتجاوز كل ماتكلم به هذا الفرد أو ذلك وبالتالي أن يمهل الزمن، لأنه من المستحيل علينا أن نلج ضمائر أولئك المتكلمين إلا إذا تصدينا لحذف الماضي وإلغائه، فضلا عن ذلك أن تدخل التاريخ لا يمكن إلا أنه يجعل حكمه خاطئا، مثال ذلك أنه من العبث رسم منظر عام لجبال الألب مأخوذا في الوقت نفسه من قمم عدة ومن جبال أخرى غير هذا، بل علينا أن نتلقف المنظر منة نقطة واحدة والأمر نفسه تماما بالنسبة إلى اللغة أي إما أن نصف اللغة وصفا متواضعا في حالة من حالاتها دون أن نحفل بالانتقال من مرحلة إلى أخرى ومراقبة هذه المراحل وتسجيل ملاحظات تطورية عبر حقب هذه المراحل وإما أن نعكس هذه الدراسة، ويشيد مع ذلك دي سوسير بالنحويين القدماء في الوقت الذي ينتقد فيه **فراتر بوب** على أن تصور هذا الأخير للغة كان هجينا وغير ثابت.

[1]- **محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير، دار النعمان، ص 104.**

إن نحويي العصور الوسطى الذين استوحوا نهجهم من المناهج التقليدية كانت وجهة نظرهم مما يتعلق بهذه المسألة التي تشغلنا سليمة " تبين جليا لنا أنهم سعوا إلى وصف حالات لغوية، وأن برنامجهم كان زمنيا بشكل محض وهكذا فإن قواعد **بور رويال Port royal** تجهد إلى وصف حالة اللغة الفرنسية في عهد **لويس الرابع عشر** مبنية قيمها، ولذلك فهي ليست بحاجة للغة العصر الوسيط إذا أنها تقتضي بإخلاص المحور الأفقي ومن غير أن تنأى عنه أبدا وإذن فإن هذا المنهج سليم، غير أن سلامته لا تعني أن تطبيقه سيكون تاما، إن النحو التقليدي بجها أقساما كاملة من اللغة من مثل تشكيل الكلمات كما أنه معياري يرى أن من واجبه إصدار قواعد بدل معاينة وقائع وهو يفتقر إلى الرؤى الشمولية، غالبا ما لم يكن ليقوي على التمييز بين الكلمة المكتوبة والأخرى المحكية. "[1]

وعلى الرغم مما لا عيب على النحو الكلاسيكي على أه يفتقد الطابع العلمي إلا أن قاعدته مع ذلك تظل أقل تعرضا للنقد، وهي أفضل حالا من الألسنية التي دشنها **بوب** باعتبارها متمو ضعة في أرضية مجهولة المعالم لعدم تميزها بشكل واضح بين الحالات والتعاقبات، أما اللسانيات فبعد أن أولت مكانة كبيرة جدا للتاريخ ما لبثت أن عادت إلى وجهة نظر النحو التقليدي التي هي في أصلها سكسونية، لكن بروح عصرية جديدة ومناهج أخرى، وقد أسهم المنهج التاريخي في هذا البعث النحوي من جذوره القديمة.

وكان للمنهج التاريخي فضل كبير في إدراكنا وبشكل أحسن لحلات اللغة بطريقة معاكسة، لأن النحو القديم لم يكن ليرى إلا الواقع التزامني التي لا تقبل المساومة وإطلاقا مع الواقعة الزمنية، لأن هذه الأخيرة ليست أكثر من حدث تكمن فيه على وجوده أما النتاج التي قد تنجم عنه فهي غريبة كليا وأن ما يحدث من تغيرات في

[1]- المرجع السابق ص 104.

الواقع الزمني ليس من ترتيب واحد وحدوث أي تغيير يكون خارجا أي قصد أو نية، وكلما حدث تغير جديد أرغم الواقعة القديمة أن تفسح المجال للواقعة الجديدة لأن الواقعة الزمنية ليست بحاجة إلى استدعاء عبارتين متزامنتين.

يقول الزجاجي ردا على الكوفيين وعلى من تبعهم بصدد حديثه عن فعل الحال وحقيقته: " فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم، ولم يخرج إلى حيز المضي والانقطاع، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل، لأنه يكون أولا، فكل جزء منه إلى الوجود صار في حيز الماضي ،"[1] وواضح من عبارة الزجاجي الأخيرة أن كل تزامنية تؤول إلى زمنية، وعلى الرغم من الصعب قياس وضبط الأولى لكونها تقديرية وغير محددة.

أما ما مضى فهو يحتوي زمنين: زمن وجد فيه وقت لغة الخطاب وزمن خُبِرَ فيه عنه وقت خطاب اللغة، خلافا للخطاب الآني الذي هو بين وقت مضى وأول وقت أتى.

ونخلص في الأخير إلى أن المنهج التاريخي لـ **عبد الجليل مرتاض** قد أفادنا كثيرا، وذلك لأجل الوصول إلى الهدف المنشود، فهو العملية التعليمية للغة العربية وعلاقتها باللسانيات الحديثة، أي حسن تعليم اللغة وأيضا الربط بين الأفكار والارتكاز على القواعد، وكلها تخضع لطبيعة العملية التعليمية والتي بدورها تتطلب تقنيات ووسائل تربوية وطرق وكفاءات تجسدها على أرض الواقع[2].

[1]- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، دار العروبة، ص 87.
[2] المرجع نفسه ص 90

الفصل الأول

اللسانيات عند عبد الجليل مرتاض

المبحث الأول
اللسانيات وقضاياها الأساسية

المبحث الأول: اللسانيات وقضياها الأساسية:

المطلب الأول:مفهوم وتاريخ اللسانيات وتطورها

1ـ مفهوم اللسانيات:

وإذ نحن نتحدث عن اللسانيات العربية، يستوقفنا هذا المفهوم للسانيات نفسها، فعلماء اللسانيات عامة متفقون " على أن موضوع ومنهجية اللسانيات كدراسة علمية للسان لم يحددا بدقة إلا بعد نشر كتاب **فرديناند دي سوسير**" دروس في اللسانيات العامة " سنة 1916 أي بعد وفاته بثلاث سنوات، وكل دراسة تخص اللسان ستكون محددة بفترة ما قبل سوسير أو بعده ."[1]

بيد أن هذا المفهوم للسانيات يبقى تعريفا عاما جدا " ولا يحدد اتجاه هذه الدراسة ونوعها واهتمامها، فهل كل ما يدرس بطريقة علمية جانبا من جوانب ما ينتجه البشر من كلام، يعد جزءا من اللسانيات؟ "، مادام اللسانيين أنفسهم " يرفضون إدخال الصوتيات ضمن مواد علمهم، كما أنهم همشوا الدراسات الاجتماعية الخاصة باللغة والدراسات النفسية التي تهتم بالكلام ، ففضلوا أن تكون الأولى اختصاصا سموها علم اللسان الاجتماعي**Sociolinguistique**والثانية ميدانا لقب بعلم اللغة السيكولوجي**Psycholinguistique** ."

وتؤكد المعاجم اللسانية المختصة أنه من المتفق عليه عموما أن قانون اللسانيات كدراسة علمية للغة أو اللسان ثابت منذ نشر محاضرات في اللسانيات العامة عام 1916 غير أن اللسانيين لايهملون جملة وتفصيلا دور اللسانيات التاريخية ولا حتى الكلاسيكية، ويرون أننا إذا أخذنا الفترات السابقة على اللسانيات الديسوسيرية بعين الاعتبار فإنه يمكن

[1]– في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2007، ص 145.

أن نتأكد بأن اللسانيين القدماء اهتموا باللغة **Language** وجمعوا لنا جملة من الملاحظات والتفاسير التي لايمكن لنا اليوم إهمالها وخلفوا لنا

تراثا لسانيا هائلا وحسبنا دليلا على أهمية ذلك الإرث هذا التحليل للغة الذي يمثل الكتابة نموذجا **Modèle** للتقطيع المزدوج للغة.[1]

وبكلمة واحدة فإن اللسانيات هي الدراسة الموضوعية للغة والأهم عندنا من الوقوف على أي تعريف " أحادي اللسانيات أن ندرك المقاربة المنهجية بين اللسانيات الدياكرونية واللسانيات السانكرونية، وهذه المقاربة هي التعريف الجوهري لأي نشاط أو بعد لساني، لأنه باعتراض اللسانيات الوصفية تطبيقا مع القواعد المعيارية والقواعد التاريخية نتمكن من إدراك أفضل تعريف اليوم للسانيات ."[2]

2ـ تاريخ اللسانيات وتطورها:

يشرع **فرديناند دي سوسير** في دروسه التي ألقاها على طلبته قبيل وفاته 1912 بلمحة تاريخية عن تاريخ اللسانيات مشيدا باللسانيات التاريخية الغربية دون أن يشير بجرة قلم إلى شعوب سبقت هؤلاء بمئات وحتى آلاف السنين إلا ماقل وندر جدا.

وبعد أن يبين مظاهر اللسان البشري التي يعدها المادة الحقيقة للسانيات، معتبرا تساوي اللغات والألسن منبها اللساني على اعتماد النصوص المكتوبة في حسابه لأنها وحدها تمكنه من الإطلاع على معرفة اللغات القديمة، غير غافل عن توضيح مايربط هذه المادة بعلوم أخرى، على الرغم من ثبوت شوائب غموض بين الحدود التي تفصل مادة اللسانيات عن العلوم الأخرى، مثال ذلك أن الأنتروبولوجيا لا تتدخل إلا بدراسة وملاحظة

[1]– المرجع السابق، ص 145.

[2]– التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط 1، 2001، ص 4.

الإنسان من وجهة نظر الجنس، في حين أن اللغة، وهي مادة أساسية للسانيات واقع اجتماعي، ونفس المقارنة تنطبق على سائر العلوم الأخرى.[1]

وعلى الرغم مما يعتقده هذا اللساني بأن الحدود بين فقه اللغة واللسانيات غدا واضحا، فإنه لاينفي مابينهما من نقاط اتصال وتبادل خدمات يتجاذبهما الطوفان، مضيفا أن اللسانيات تهم كل من كان ديدنه تحليل النصوص ومعالجتها أيا كان الحقل الذي ينتمي إليه الدارس، وذلك باعتبار اللغة عنصرا أكثر أهمية وأشد خطرا من أي عنصر آخر.[2]

[1]– مفاهيم لسنية دي سوسيرية، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2005، ص 5.

[2]– المرجع السابق، ص 6.

المطلب الثاني:

مبادئ اللسانيات وفروعها

1ـ مصطلحات لسانية تأسيسية:

ـ اللسانيات (Linguistiques) :

يجمع الباحثون على أن استعمال العلم لم يتم إلا في المراحل الأخيرة بين المعرفة البشرية، وأن استعمال العلم وشيوعه لم ينشأ بوساطة بل يعد مخاضات فلسفية وفكرية وسياسية ألت إلا أن يكون حاجة ملحة، ونمطا جديدا للوثوق بالمعارف، وقديمها وجديدها، وكان نمو العلم الطبيعي من الطبيعات يسير ببطء، شديد في أواخر القرون الوسطى، إذ شهدت أوروبا الغربية مدرستين علميتين رئيسيتين هما: (مدرسة أوكام) ومركزها متواجدة في أكسفورد وباريس و (مدرسة ابن رشد الأوسطية) التي كانت على اتصال وثيق بالمدرسة الطبية في بادو.[1]

ومن هنا عرف العلم بأنه منظم من المعرفة يبدأ من الواقع وينتهي إلى تفسيره من خلال آليات محددة تؤدي إلى الكشف عن الحقيقة، ووظيفة العلم إقامة القوانين والنظريات العامة وتكوينها التي تحكم اكتشاف أحداث والظواهر التي يبحثها،[2] وعرفته ناهد أحمد بأنه " مجموعة من المعارف والمفاهيم المصنفة التي تتسق في نظام من الأفكار، أمكن التحقق من درجة صحتها بطريقة علمية معينة، وهذه الطريقة هي مايطلق عليها بطريقة البحث العلمي. "[3]ونستنتج أن العلم يعني إدراك المعاني والعلاقات المستنبطة بعد تنظيم الحقائق في نسق مجرد، أهو هو مجموعة

[1]– تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، تر جورج طعمة، بيروت، دار الثقافة بالإشتراك مع فرانكلين للطباعة والنشر، 1958، ص 285.

[2]– مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، كامل حسون القيم، مركز البحوث والدراسات الإستراتيجية، بيروت، ط 1، ص 55.

[3]– مناهج البحث في علوم المكتبات، ناهد أحمد، الرياض، دار المريخ، 1979، ص 12.

القوانين التي تنظم العلاقات بين هذه الحقائق ومن ثم انتقلت صفة العلم من الطبيعيات إلى الإنسانيات، حتى بلغت الدراسات الحديثة درجة من الدقة واللفظ والموضوعية والشمول ما أتاح لها أن تتبوأ مكانا عليا بين العلوم الإنسانية منذ أن تأثر لغويو القرن التاسع عشر بنتائج العلوم الطبيعية وعلم الأحياء، وكان **شلايشر** أكثر اللغويين تأثرا بهذا الاتجاه ولاسيما بعد ظهور كتاب داروين أصل الأنواع سنة 1859.

إن تشبع شلاشير بالداروينية دفعه إلى رفض أن اللسانيات من العلوم الإنسانية، بل عدها من العلوم الطبيعية فاللغة في نظره جهاز عضوي طبيعي خاضع في بنيته وتطوره لقوانين معينة ثابتة، مثل: النشوء والارتقاء هي التي تخضع لها كل الظواهر الطبيعية، وكما كانت اللغة جهازا عضويا كبقية الكائنات الحية، تتكون من عناصر لها وظائف محددة، ومن ثم فهي مثل جميع الكائنات الحية تنشأ وترعرع ثم تكبر وتشيخ وتموت.[1]أخذت هذه الدراسات زمام المبادرة في هدم الأسوار التقليدية، والتي أقيمت بلا مسوغ علمي واضح، بين العلوم الطبيعية والإنسانية، وهو ماعبر عنه بصدق عالم الأنتروبولوجيا **ليفي إشتراوس** عام 1908 حين قال:"إننا نجد أنفسنا إزاء علماء اللغة في وضع حرج، فطوال سنوات متعددة كنا نعمل معهم جنبا إلى حنب، وفجأة تبدو لنا أن اللغويين لم يعودوا معنا، وإنما انتقلوا إلى الجانب الآخر من ذلك الحاجز الذي كان يفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية والاجتماعية حث ظل الناس لزمن طويل يعتقدون باستحالة عبور هذا الحاجز في حين أخذ علماء اللغة يعملون بتلك الطريقة المنضبطة التي تعودنا باستسلام على أنها وقف للعلوم الطبيعية وحدها."[2]

وعلى وفق ما تقدم ذكره آنفا، عرف اللغويون المحدثون اللسانيات بأنها الدراسة العلمية للغة، ويعنون بذلك استعمال المناهج العلمية في دراستها، وقد كان هدفهم من ذلك أن يجعلوا دراسة اللغة عملا دقيقا منظما على النحو الذي تحقق في دراسة العلوم الأخرى،"

---

[1]– Ascheicher la thèorie de darwin et la science du langage weimar 1863 repris in tort evolutionnisne et linguistique vrin paris 1980

[2]– الجذور الفلسفية للبنائية، فؤاد زكريا، حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، الكويت، 1980، ص 8.

أو هو العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وتربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع والبيئة الجغرافية"[1] ولكي تكون الدراسة علمية لابد أن تتوفر فيها السمات الضرورية وهي:

1ـ النظامية أو التنظيم:(Organisation)

تعني أن البحث العلمي ليس نشاطا اعتباطيا في مراحله، بل هو نشاط منظم منسق له خطواته المتسلسلة والمتكاملة، يرسمها منهج علمي وله طرق ومعايير في الربط بين العلاقات والأدوات في المادة اللغوية المبحوثة من ناحية جمعها وتنسيقها، من خلال إجراءات محددة تبدأ بالتساؤل (المشكلة) وتنتهي بالإجابة عن ذلك التساؤل (نتائج واستنتاجات) في ضوء جملة من الجهود العلمية، وفي الغالب تأخذ إطارين النظري والتطبيقي، والذي يهمنا في إطار المشكلة والاستعمالات في ميدانها الخاص غالبا ماتكون متداخلة وربما متناثرة، وغير منسجمة في ظل التصورات والقوانين التي تصفها وتدركها حواسنا، وبذلك فإن عملية إعادة تنظيمها وترتيبها وربطها بنحو منطقي يعد أولى مشتقات البحث العلمي.

وعلم اللغة ميدانه أو موضوع بحثه اللغة، التي قلنا عنها سلفا بأنها نظام من الرموز المنطوقة المكتسبة، تستعمله جماعة معينة بهدف الإتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم، ولهذا يتفق عدد من اللغويين على أن دراسة العمليات العقلية السابقة لعملية إنتاج الكلام أو التالية لاستقباله تقع خارج نطاق البحث اللغوي،[2] وفكرة النظام أو التنظيم مأخوذة إجمالا من طبيعة الكون وعلائقه، وظواهره على وفق أنماط أسطورية أو فلسفية أشارت لها الحضارات الأولى

[1]– علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح عبد العزيز مطر، قطر، ط 1، 1985، ص 7.

[2]– علم اللغة الحديث، محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، ص 42.

منذ أمد بعيد وقد أشار القرآن الكريم غلى تلك الحقيقة في قوله تعالى: " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" [1] وقوله تعالى: " ومنة آياته خلق السماوات والأرض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير."[2] غير أن التنظيم في العلم الوضعي يخلقه العقل البشري ويبعثه إلى العالم بفضل جهده المتواصل الدؤوب لاكتساب المعرفة وزيادتها، ولتحقيق هذا النظام لابد اتباع المنهج **Mèthode** أي الطريقة المحددة التي تعتمد على خطة واعية متسلسلة، وصفة المنهجية هذه هي صفة أساسية في العلم والعنصر الثابت في كل معرفة علمية، لذلك وصفت نظامية العلم بأنها "معرفة منهجية للتميز من حقول المعارف الأخرى."[3] ولما كانت اللغة ظاهرة على جانب من التعقيد فإن العناصر أو الوحدات التي تألف نسيجها تنتظم منها صور أو أشكال لغوية لحصولها ليبدو من المستحيل أن نصل إلى أي نتائج صحيحة من فحصها إلا إذا دُرست بمنهج على درجة عالية من التنظيم، إذ أن الظواهر اللغوية خاضعة للملاحظة المباشرة " وسبيل الملاحظة بالاستقراء ويتطلب الاستقراء عددا هائلا من المفردات التي يتناولها، وقد تكون هذه المفردات أصواتا عند دراسة الأصوات، أو حروفا أو مقاطع،

أو ظواهر موقعيه عند دراسة التشكيل الصوتي الفونولوجي أو صيغا عند دراسة الصرف أو أبوابا عند دراسة النحو أو غير ذلك."[4]

2ـ الغرض أو القصد: (Intention)

ليس البحث العلمي نشاطا عفويا، بل هو نشاط مقصود يرمي للوصول إلى النتائج لحل مشكلة معينة، أو يجيب عن تساؤل يتولى الباحث الظواهر ومسبباتها بحسب تخصصه العلمي، ويضيف تلك المحاولات لما يمهد له الإجابة عن سؤال: لماذا تأخذ الأشياء

[1]– الروم الآية 46.

[2]– الشورى الآية 29.

[3]– التفكير العلمي، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، 1978، ص 30.

[4]– اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980، ص 158–159.

والظواهر ذلك الوضع؟ وما لسبب في نشوءها؟ وللإجابة عن ذلك والقصدية في البحث العلمي الباحث وموضوعه عنصرين متفاعلين، أحدهما يضيف للآخر وصولا إلى القوانين والنظريات التي تفسر حصول الظواهر وانحصارها كما أنها تعنى بمعرف عوامل ذلك الظهور والانحصار، ذلك أن معرفة أسباب حدوث الظواهر يمكننا من معرفة التحكم فيها وفي مجرياتها على نحو أفضل، وأن وصولنا إلى نتائج وإجابات عملية بالقصدية، أفضل بكثير مما نتعرف به من خلال التنبؤ والصدفة والقصدية غالبا ما تتولد من حاجة اجتماعية، أو فضول علمي أو سلوك تحسبي وغير ذلك.

3ـ الدقة: (Accourcie)

تتميز صياغة البحث اعلمي بالدقة في تعبيرات كمية أو عبارات دقيقة مع استعمال المفاهيم والمصطلحات المقررة في المجال العلمي فالعلم لغته الخاصة في مختلف العلوم والاختصاصات، ولايتعامل العلم مع التخمينات ووجهات النظر الشخصية، وتتبع الدقة في هذا السياق من خلال:

1ـ الدقة في جمع المعلومات ونقلها.

2ـ التثبت من مصادرها الأصلية سواء كانت كتبا أم مخطوطات أو إجراءات او غير ذلك...

3ـ الدقة في استعمال الأدوات البحثية، استمارات التحليل وأدلته لكل أشكالها البسيطة والمعقدة، علة أن تستوفي صحة النتائج وثباتها.

4ـ الدقة في استعمال المعطيات النظرية والتطبيقية، على نحو منطقي.

5ـ صياغة المعلومات بلغة علمية اصطلاحية، ليست خطابية أو وعظية، اتساقا مع ذكر قنوات الإسناد، مصادر ومراجع، تثبت في سياق البحث.

وينبغي للباحث أن يصل إلى النتائج الحقيقية من خلال التقصي المنظم والفحص الدقيق والملاحظة الموضوعية، وعلى الرغم من ضرورة الأخذ بآراء الخبراء والمختصين، لكن ذلك لا يجيز للباحث التصديق بها من دون إجراء من يثبت صدقها.[1]

ويرى بعض العلماء من أنصار المدرسة الرياضية في العلوم أن بالإمكان الوصول إلى درجة عالية من الدقة في تحليل الظواهر وتفسيرها من خلال التكتيم، وكانت العلوم الطبيعية قد حسمت موضوع الشك وعدم اليقين في القياس والتصنيف من خلال صياغتها طرق قياس[2] مختلفة ومتجددة، ودقة استعمالها، وقد أفاد عل اللغة من هذا المسلك العلمي في بعض مجالات الدراسة اللغوية، فلم يعد مقبولا في دراسة

الأصوات أن نتحدث عن علو الصوت أو درجته من دون استعمال لغة الكم، فنحدد مثلا الطاقة التي تنتج الصوت والطاقة الأكبر تنتج سعة أكبر للذبذبة وصوتا أعلى

وتكون درجة الصوت أعلى كلما كانت الذبذبات أسرع وعددها في الثانية أكثر،[3] ذلك في العلوم الأخرى ولايخلو النحو العربي مثلا من ظاهرة التجريد والمعيار الكمي مثلا نظام مجرد يعتمد على بيان الموقع والحالة والعلامة، ففي قولنا الحق منتصر نجد في إعراب الجملة مايأتي:

الحق: مبتدأ (موقع) مرفوع (حالة) وعلامة رفعه الضمة (العلامة).

منتصر: خبر (موقع) مرفوع (حالة) وعلامة رفعه الضمة (العلامة).

ومن هنا نجد أن المصطلحات (الموقع، الحالة، العلامة) لا تختص بكلمة (الحق) وكلمة (منتصر) إنما هي صفة تستحقها أي كلمة يمكن أن تشغل هذا (الموقع) أو ذلك، بل إن

[1] – منهاج البحث الاجتماعي، عمر الشيباني، طرابلس، الشركة العامة للتوزيع، 1985، ص 55.

[2] – مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي فني الدراسات الإنسانية، ص 71.

[3] –دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، دار المعارف، مصر، 1971، ص 13.12.

الحالات الإعرابية: الرفع النصب، الجزم الجر على درجة عالية من التجريد إذ أنها موضوع للتمييز بين المواقع الممكنة في اللغة العربية فالرفع يميز الفاعل من المفعول به، والنصب يميز المفعول به من الفاعل، والرفع والنصب لا وجود لهما في أذهان النحويين الذين يدرسون الواقع النحوية، وإن النحويين في الحقيقة لا يتعاملون مع مفردات، وإنما يتعاملون مع أقسام وهم في النهاية يحددون علاقات كمية مجردة.[1]

فإذا قلنا مثلا إن الجوانب المادية لنشر الثقافة تتغير بسرعة أكبر من الجوانب المعنوية فإن هذا القول يعبر تعبيرا كيفيا عن الاختلاف في سرعة التغيير، من دون يَعْبُرْ بالمقياس الكمي الدقيق عن مستوى هذا الاختلاف، أو أن نقول:

ترتبط القرارات الخارجية للطالب الجامعي ارتباطا شديدا بالمستوى العلمي، وهنا كلمة: (شديدا) فقد أشارت إلى شدة الارتباط، ولكن هذه الشدة مطلوبة في العلم ـ كمستوى ـ رقمي لبيان مضبوط ودقيق لها، وقد يستعمل البعض كلمات أو أوصافا مهمة جدا ويطلق لها الفنان جزافا، لوصف العلاقات أو التأثيرات أو الأحكام كما في الكلمات: (قليلا، وشديدا، وكبيرا، ومرغوبا، ومؤثرا) وغير ذلك...

4. **الشمول:** (التقييم بين المتماثلات –**Généralisation**)

ويقصد بالتعميم أن نتائج البحث العلمي لا تقتصر على حالة جزئية واحدة بل تشمل الحالات الأخرى المماثلة والمشابهة لها، في حالة تماثل الجزئيات، وتشابه الظروف والتكوينات، ذلك أن مبدأ العلم يسر على مبدأ مسلمة الثبات أي أن هناك ظواهر تعاد وتتشابه فيما لو توافرت الظروف نفسها، والحالات ذاتها ومن هنا وجب على المشتغلين في البحث العلمي أن يخضعوا أنموذجا أو جزءا بسيطا من المجموع الكلي لمجتمع البحث يسمى (العينة) التي تخضع للدراسة والتطبيق، لإمكانية السيطرة عليها من جهة ولأنها تحتمل تشابها في الظروف والعوامل من جهة أخرى، ومن ثم تعميم ذلك على الأجزاء المتشابهة

[1]– علم اللغة الحديث، محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2011، ص 40.

للعينة ومن هنا تختزل كثير من النظريات والمفاهيم والقوانين والقواعد على وقف طريقة التعميم فتتخذ المشابهة والمماثلة في سياق العلوم الطبيعية شكل القوانين والنظريات والحقائق العلمية المختزلة الشاملة والثابتة، وتتخذ في سياق العلوم الإنسانية ولا سيما اللغوية منها شكل القواعد ذات اللغة المختزلة.[1]

ولما كان علم اللسانيات لا يتعامل مع الصور الفردية للكلام، بوصفها بعيدة جدا عن الوحدة والتجانس فلا تصلح للدراسة، لأنه لا يمكننا تحديد صور الكلام الفردية

ومن ثم لا يمكننا وصفها إلا إذا كان هذا الوصف بلا حدود أيضا وهذا ما لا سبيل إليه، وإنما يتعامل الباحث اللساني مع الظواهر العامة المشتركة لأن موضوعها محدد، يمكن إجراء إحصاء بأجزائه وإجراء تحليل له.

يختزل التعميم والشمول كثيرا من الجهود المعرفية المنظمة باتجاه وصف الظواهر المتشابهة للتجربة أو الميدان، أو المجتمع البحثي في ضوء التنبؤ، ولولا التعميم لما استطعنا دراسة الظواهر والمشكلات الجزئية والمتكررة كلها ولكانت بنا حاجة إلى جيوش من الباحثين لإتمام ذلك، ولكننا لا نقول بأن كل بالعموم ينبغي أن يتصف بالشمول ويتضح لنا ذلك من خلال الأسس التي ينبغي إتباعها في وضع القاعدة وهي:

1. القاعدة وصف لسلوك عملي في تركيب اللغة، وينبغي أن يلحظ بأن يكون هذا السلوك مطردا، حتى يعبر عنه بالقاعدة.

2. القاعدة جزء من المنهج لا جزء من اللغة.

3. لابد أن تتصف القاعدة بالعموم وليس من الضروري أن تتصف بالشمول.

4. أن تكون القاعدة مختصرة قدر المستطاع.

[1]- البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص 18.

5ـ من الضروري أن ترد عدد من الشواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سندا إلى القواعد، وأيضا حالها.[1]

5ـ التحقق: (**Métallisation**)

يتصف البحث العلمي بإمكانية اختبار صدق النتائج ومراجعتها من خلال إمكانية الرجوع به إلى الواقع ثانية أو إجراء عملية تحليل ثانية، أو من خلال التثبت من عدم التناقض في النتائج والأحكام الواردة في ثنايا البحث، ولكي تسمى النتائج علمية

عليها أن تخضع لاختبار من الباحث نفسه أو من آخرين، فكلما كانت إمكانية مراجعة نتائج البحث ممكنة ومتطابقة وقريبة كلما اكتسبت أكثر لأن العلم بصرامةإجراءاته ووحدة نتائجه.

إنما ما يميز المنجز العلمي من غيره هو ثباته ورسوخ نتائجه، وإذا كانت التفرقة بين الأحكام الشخصية أو التصورات الذاتية، تسير بخطى بطيئة ومتناقصة أمام هيمنة العلم فإن ذلك مرده إلى إمكانية التحقق من مخرجاته ومراجعة خطواته، ومن ثم نتمكن من إثبات ما يتمخض الجهد البحثي على أنه علم لا غير أما نتائج الصدفة أو الخيال أو الحدس.... وسواها فإنها لا تستعمل للسيطرة على الظاهرة فحسب، بل تسعى لوصفها والتعبير عنها.[2]

فروع اللسانيات:

1ـ اللسانيات النظرية: (Théorétique linguistes)

وهو العلم الذي يدرس الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بصفة أساسية وهي الظواهر التي تشترك فيها جميع اللغات، فضلا عن دراسة مناهج البحث اللغوي.

إن علم اللغة النظري على مدى أكثر من نصف قرن لم يعد علما واحدا بل أصبح

[1]– اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ص 163.164.

[2]– مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، ص 76.77.

عدة علوم تتخللها نظريات مختلفة، ومعنى هذا أن علم اللغة أو اللسانيات ليس علما أحادي النظرة أو الاتجاه أو يتمتع بنوع من التجانس،فهناك نظريات لغوية مختلفة ذات أصول متداخلة أحيانا ومتعارضة أحيانا أخرى ولا يخفى على اللبيب أن علم اللغة النظري قد استقر على عدد من العلوم تدرس جوانب أساسية من اللغة، يطبق علماء اللغة مناهج مختلفة في دراستها تاريخية ومقارنة ووصفية وتقابلية وتسعى هذه الدراسات إلى وضع أصول عامة لدراسة اللغة الإنسانية.

فروع اللسانيات النظرية:

1. علم الأصوات: وهو العلم الذي يدرس الصوت اللغوي بعيدا عن البنية من حيث طبيعته وكيفية حدوثه،ويدرس جهاز النطق والأعضاء التي يتكون منها، ومواضع النطق وطريقة نطق الأصوات الكلامية، ويصنفها طبقا للمخارج والصفات، وذلك في ضوء تحليل الخصائص الصوتية المتنوعة ودراستها التي يتألف منها النظام الصوتي للغة، ثم ما لبث أن اتصل هذا العلم بالعلوم الأخرى، عندما شرع علماء الأصوات في استعمال الآلات مثل: الاسبكتروجراف (Spectrographe) وغيرها من الآلات في تحليل الصوت وقياسه ومن ثم أصبح علم الأصوات عدة علوم منها:

علم الأصوات النطقي: وهو العلم الذي يدرس جهاز النطق الإنساني، ويتمثل في أعضاء النطق ابتداء من الحجاب، الحاجب مرورا بالرئتين والصبة الهوائية والحنجرة والوترين والصوتيين والحلق والتجويف الفموي واللسان والأسنان حتى الشفتين.

علم الأصوات الفيزيائي: وهو العلم الذي يدرس انتقال الصوت في الهواء من فم المتكلم إلى أذن السامع ويحلله من حيث طبيعة الموجات الصوتية وطولها وترددها والذبذبة والعوامل و العوامل المؤثرة في ذلك.[1]

[1]– دراسات في اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل، دار المعرفة، ص 14–15.

علم الأصوات السمعي: وهو العلم الذي يدرس الجهاز السمعي (الأذن) من حيث تشريحها وما يحدث فيها عند استقبال الكلام وإدراكه وعلاقة ذلك بالمخ وما يحدث فيها من فك الشفرة الصوتية وإدراك الكلام وفهمه من حيث إنتاجه واستقباله بما له صلة بعمل المخ الإنساني مستقلا يعرف بعلم اللغة الإدراكي أو العصبي(Neurologie linguistiques).

علم الأصوات التجريبي: (Expérimental phonétiques)

وهو العلم الذي يدرس خصائص الأصوات اللغوية باستعمال أجهزة القياس والآلات الإلكترونية الحديثة لمعرفة الخصائص الصوتية للجهر أو الهمس أو غيرها من الملامح الصوتية، ويطلق عليه أحيانا علم الأصوات الآلي أو المعملي.

علم الفونيمات: (phonologie)

وهو العلم الذي يدرس الصوت في ضوء ما يؤديه به، كما يدرس علاقة الصوت بالدلالة والمعنى والخبرة لكل صوت، والوحدة التي تستعمل في التحليل هي الفونيم.

2ـ علم الصرف: (علم المورفيمات)

وهو العلم الذي يبحث في تصنيف المورفيمات وأنواعها ومعانيها المختلفة ووظائفها، ويدخل في إطار علم الصرف بالمفهوم التقليدي ويستخدم وحدة أساسية في التحليل هي المورفيم (Morphème).[1]

3ـ علم النحو: (التركيب أو علم النظم)

وهو العلم الذي يدرس أحكام نظم الكلمات وقوانينها داخل الجمل والعبارات وأنواع الجمل، والعلاقات النحوية التي تربط بين مكونات الجمل ويطلق عليه أحيانا بعلم القواعد (Grammaire) علم القواعد الذي يشمل هذا العلم فضلا عن علم الصرف.

[1]– المرجع السابق، ص 18.17.

4ـ علم الدلالة وفروعه:

وهو العلم الذي يدرس الطبيعة الرمزية للغة، ويحلل الدلالة من حيث علاقتها بالبنية اللغوية، وتطور الدلالة وتنوعها، والعلاقات الدلالية بين الكلمات والحالات الدلالية وفيه عدة فروع:

1ـ علم المفردات: وهو العلم الذي يدرس حركية الثروة اللغوية كما تتمثل في المفردات من حيث مقدارها، وتنوعها وعدد الكلمات التي تستعمل في مجال معين والكلمات المقترضة من لغات أخرى، والكلمات الحية النشطة التي يستعملها المتكلم بلغة معينة وتلك التي لا يستعملها ولكن يعرف معناها وغير ذلك مما يتصل بالمفردات.

2ـ علم المعجمات النظري: وهو العلم الذي يدرس الكلمات ويحللها من حيث طبيعتها ومكوناتها وتطورها وتغيرها، لذلك فهو يتداخل أحيانا مع علم الدلالة لاشتراكهما في بعض الموضوعات ولكنه أضيق مجالا من علم الدلالة، إذ لا يهتم علم المعجمات بوضع النظريات الدلالية، وإنما يكتفي بدراسة دلالة الكلمات وأنواع الدلالة وما يتصل بذلك.

3ـ علم اللغة الرياضي: (Mathématique) وهو العلم الذي يهتم بتحليل المادة اللغوية باستعمال أساليب العلوم الرياضية في الإحصاء والتحليل وقد يسمى علم

اللغة الإحصائي حين يستعمل العقول الآلية في عملية الإحصاء والتحليل، ويدخل في إطار علم اللغة الرياضي أيضا استعمال المنطق الرياضي في تحليل اللغة.

4ـ علم الجرافيمات: (الكتابة) Graphème وهو العلم الذي يدرس نظم الكتابة المختلفة في اللغات من حيث القواعد المستعملة في التعبير الخطي عن الكلام، ويستعمل في هذا العلم وحدة تحليلية تسمى (الجرافيم) تقابل الوحدة الصوتية (الفونيم) على المستوى النطقي، وذلك لبيان الفروق بين تحليل اللغة المكتوبة والمنطوقة.

5ـ علم الحركة الجسمية المصاحبة للكلام: Kinésiques وهو العلم الذي يدرس الحركات الجسمية المصاحبة للكلام التي تسد مسد الكلام أو تسانده في تأدية المعنى المطلوب من

أجل إفهام المتلقي والتأثير فيه، ولهذه الحركات معنى معين لدى كل جماعة لغوية وتتخذ هذه الحركات أشكالا مختلفة، وتتم أحيانا باليد أو الرأس أو العين أو الجسم ويستعين هذا العلم بالرسم أو التصوير لتحديد الحركات المصاحبة للكلام[1] أما من حيث دراسة اللغة من وجهة نظر منهجية معينة فهناك علوم لغوية تصنف من علم اللغة النظري طبقا للمنهج الذي يستعمل في دراسة اللغة وهي:

أ.اللسانيات التاريخية: وهو العلم الذي يدرس التطورات اللغوية في مراحل زمنية متعاقبة على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ومعنى هذا أن هناك علم الأصوات التاريخي وعلم الصرف التاريخي وعلم النحو التاريخي، وأبرز ما يسفر عنه هذا العلم من نتائج تتمثل في القوانين التي تحكم التطور اللغوي على هذه المستويات المختلفة، وكل ذلك بالنظر إلى لغة معينة أو عدة لغات في مراحل زمنية مختلفة أي وهي في الحالة الحرجة.

ب. اللسانيات المقارنة: (Descriptive linguistique) وهو العلم الذي يدرس الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة مقارنة في عدد من اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد أو عائلة لغوية واحدة، ومعنى هذا أن هناك فروعا أخرى لهذا العلم تتمثل في علم الأصوات المقارن وعلم الصرف المقارن وعلم النحو المقارن وعلم الدلالة المقارن، لأنه من النادر أن يدرس الآن عالم واحد كل هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنما الشائع المتخصص في دراسة مستوى من هذه المستويات، وبناء على هده الدراسات المقارنة يستطيع علماء اللغة استخلاص بعض الصور اللغوية المشتركة بين اللغات ذات الأصل الواحد، وقد يسعى بعضهم لبناء اللغة الأم التي انحدرت منها هذه اللغات، وكان هذا الهدف الرئيسي لهذا العلم.

جـ. اللسانيات الوصفية: (Prescriptive linguistique)وهو العلم الذي يدرس اللغة كما هي مستعملة في زمان أو مكان معين، أي يدرس اللغة وهي في حالة ثبات، وتتم الدراسة

[1]– دراسات في اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل، دار المعرفة، ص 18-19.

أيضا على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية أو على مستوى واحد منها، وهو بهذا المعنى يقابل علم اللغة التاريخي الذي يدرس اللغة عبر مراحل زمنية من تاريخ اللغة، أي يدرس اللغة وهي في حالة حركة.

هـ. اللسانيات التقابلية: (Contractive linguistique) وهو العلم الذي يدرس أوجه الشبه والاختلاف بين لغتين أو أكثر لا تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة مثل: العربية والإنجليزية، ويتم ذلك على المستويات الصرفية والنحوية والدلالية والصوتية.

و.علم اللهجات: وهو العلم الذي يدرس خصائص اللهجات في اللغة الواحدة كما تظهر في الفروق الصوتية والنحوية والدلالية والصرفية، ويرجع الفضل في ظهور هذا العلم واستقراره إلى علم اللغة التاريخي والمقارن.[1]

ي. اللسانيات الكلية: (Universel linguistique) ويسمى علم اللغة الكلي أو الشامل وهو العلم الذي يدرس اللغات المختلفة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا بهدف الوصول إلى القواعد والأصول اللغوية العامة التي تشترك فيها اللغات الإنسانية المختلفة بصرف النظر عن القواعد الخاصة التي تنفرد بها كل لغة عن الأخرى، أو كل مجموعة أو عائلة لغوية عن الأخرى.

2ـ اللسانيات التطبيقية:(Appli éd linguistique) فرع من فروع علم اللغة العام، وهذا الفرع يعنى بتطبيق النظريات اللغوية ومعالجة المشكلات المتعلقة باكتساب اللغة وتعليمها كما يعنى بالتحليل التقابلي بين اللغات للاستفادة منه في تحسين اللسانيات بنظريات العالم اللغوي الأمريكي المعروف (ناعون تشو مسكي) لاسيما في نظرية النحو الكلي التي فسرت قدرة الإنسان على اكتساب أي لغة بشرية بصرف النظر عن عرقه أو لونه أو معتقده أو ديانته ومن ثم محاولة توظيف هذه النظرية في سبيل الوصول إلى فهم أكثر لعملية الاكتساب اللغوي، ويعد عقد التسعينات من القرن العشرين هو عقد ازدهار حقل علم اللغة

[1]– المرجع السابق، ص 20.

التطبيقي، إذ أصبح بعض الشيء حقلا مستقلا عن علم اللغة النظري، وأصبحت عدد من الجامعات تقدم برامج للدراسات العليا المتخصصة في علم اللغة التطبيقي، وأصبحت هناك عدد من المراكز والمنظمات التي تعنى بهذا الحقل بالجمعية الأمريكية لعلم اللغة التطبيقي، ومركزه بالولايات المتحدة وغيرها من المنظمات بأمريكا والمملكة المتحدة، ويندرج تحت هذا العلم فروع وهي:

1. **اللسانيات الجغرافية: (Géolinguistique)** وهو العلم الذي يدرس اللغات واللهجات ويصنفها طبقا لموقعها الجغرافي، وبالنظر إلى خصائصها اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية والصوتية التي تفرق لغة أو لهجة عن لهجة، في البلد الواحد أو في عدة بلدان تتكلم لغة واحدة، وهو يستند في ذلك إلى علم اللهجاتالنظري وغالبا ما تنتهي هذه الدراسة في علم اللغة الجغرافي بوضع الأطلس اللغوي حيث توزع الخصائص اللغوية على الخرائط الجغرافية برموز خاصة توضح الخصائص والفروق بين كل لغة وأخرى أو بين كل لهجة وأخرى على المستوى الأفقي.[1]

2- اللسانيات الاجتماعية: (Sociolinguistique)

يعد علم اللغة الاجتماعي فرعا مهما من فروع علم اللغة العام أو علم اللسانيات، فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، لأنه ينظم كل جوانب بنية اللغة وطرائق استعمالها، التي ترتبط بوظائفها الإجتماعية والثقافية، وليس المقصود بهذا العلم أنه تركيبة أو توليفة من علمي اللغة والاجتماع، أو أنه مزيج منهما أو تجمع لقضاياهما ومسائلهما، وإنما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع[2] فهو ينظر التغييرات التي تطرأ على بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها لذا يمكن تعريفها بأنه العلم الذي يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني، أي استعمال اللغة

[1]- دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 21.

[2]- علم اللغة الاجتماعي، كمال محمد بشر، ص 47.

والتنظيم الاجتماعي للسلوك[1] ويركز في موضوعات ترتبط في التنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة وسلوكيات مستعمليها.

ومن المعلوم أن علم اللغة العام على قسمين: أولهما النظري والآخر تطبيقي، وينتمي علم اللغة الاجتماعي إلى الأخير، فهو يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية والطبقية من حيث خصائصها والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وتوزيعها داخل المجتمع ودلالتها على المستويات الاجتماعية المختلفة، ويدرس مشكلات الازدواج اللغوي مثل الفصحى والعامية، واللغة الرسميـة وغير الرسمية لذا هو أحد مجالات النمو والتـطور

في الدراسات اللغوية من منظور مناهج البحث والدراسة، ويطلق عليه الاجتماع اللغوي (Sociologie of langage)، ولكن هناك فرقا بين تناول كل من علماء اللغة وعلماء الاجتماع لهذه العلاقة بين اللغة والمجتمع.

3. **علم الأسلوب:(Stylistiques)** ويهتم هذا العلم بدراسة مظاهر التنوع والاختلاف في استعمال الناس للغة ما وتحليلها، وبخاصة على مستوى اللغة الأدبية أو الفنية، وهو يطبق في هذه الدراسة نتائج ودراسات علم اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وقد يدرس اللغة المكتوبة كما تتمثل في لغة شاعر أو كاتب ويحاول أن يرصد الملامح اللغوية التي تنفرد بها لغة هذا الكاتب أو ذاك الشاعر، ويدرس أيضا اللغة المنطوقة التي تتمثل في لغة الخطابة أو الإذاعة أو لغة الإعلان المكتوبة والمسموعة وغير ذلك من أوجه التنوع والاختلاف في الاستعمال اللغوي، ويستعمل هذا العلم أحيانا الطرائق الإحصائية في حصر الصيغ والمفردات التي تميز مستوى لغويا عن آخر، وحينئذ قد يسمى علم الأسلوب الإحصائي، وهو بصورة عامة البديل عن علم البلاغة التقليدي، لأن من وظائفه أيضا دراسة

[1]- المرجع نفسه، ص 41.

الاستعمالات المجازية للغة و تحليلها، ولكن بطرائق ومناهج تتصل بعلم اللغة ومفاهيمه في التحليل ويطلق عليه أحيانا في العربية علم الأساليب أو الأسلوبية.[1]

4ـ اللسانيات النفسية: (Psycholinguistique)

يختص هذا العلم بدراسة العوامل النفسية المؤثرة في اكتساب اللغة الأم، ولاسيما عند الأطفال، أو تعلم لغة أجنبية، كما يدرس عيوب النطق والكلام والعلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام من الاكتساب والإدراك عند المتكلم أو السامع، وذلك على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويرجع الفضل في استقرار العلملنظرية تشو مسكي البنائية.

5ـ علم أمراض الكلام: (Pathologie speech)ويعده بعض العلماء جزء من علم اللغة النفسي وهو يهتم بدراسة علاج الأمراض المتصلة بعيوب الكلام والنطق عند الأطفال والكبار على السواء.

6ـ فن صناعة المعجمات: (Lexicographie)وهو الفرع التطبيقي لعلم المعاجم ويدرس فن صناعة المعجم وتأليفه من حيث طرائق ترتيب المفردات، واختيار المداخل، واعداد التعريفات والشروح للكلمات داخل المعجم والصور والنماذج المصاحبة للشروح، وغير ذلك من العمليات الفنية حتى يتم إخراج المعجم في صورته النهائية.

7ـ علم اللغة التعليمي: (Linguistique pedagogical)ويهتم بالطرائق والوسائل التي تساعد على تعليم اللغة الأم أو اللغات التي يتعلمها الطلاب في المدارس بالإفادة من نتائج علم اللغة فضلا عن إعداده والخطط والبرامج التي تؤهل معلم اللغة للقيام بواجبه سواء بنفسه أو بمساعدة المعامل اللغوية.

[1]– علم اللغة الحديث، محمد حسن عبد العزيز، ط 1، ص 97.

8ـ المرونة: (Flexibilité)وتعني المرونة اتصاف البحث العلمي ونتائجه بمرونة الفكر مادامت النتائج قابلة للمراجعة والتحقق والتطور، وقد ساعدت هذه السمة العلم أن يبقى بعيدا عن الجمود، إلى أن يتوصل لقوانين جديدة لذا يقال: إن البحث العلمي لا يقود إلى حقائق أزلية ونهائية بل يقود إلى شك منظم فما يعتقد أنه حقيقة في لحظة معينة قد تتغير بظهور عوامل وظروف أخرى تغير منه، ويعني هذا أنه لا حتمية في العلم، ويتأكد هذا المنحى ويتجلى بنحو خاص، والإنسان كائن متغير بنحو سريع تبعا لظروفه النفسية والمادية والسياسية.[1]

9ـ الواقعية:(Réalisme) من السمات المهمة التي يتصف بها البحث العلمي الواقعية إذ لا يمكن البحث في موضوعات غير موجودة في الواقع، أي أن العلم لا يمكن أن يدرس أو يخضع علاقات أو حقائق غير موقوتة أو موجودة أو متصلة بالواقع، فلا يمكن التعرف بنحو محدد لظواهر فوق قدرات الحواس الإنسانية الظاهرة والمحسوسة بل والقريبة أيضا موضوعيا وماديا، فلا يمكن أن نقيس الخيال مثلا أو التأمل بشيء من الدقة أو الموضوعية.

10ـ الموضوعية: (Objectivité)وتعد سمة الموضوعية في البحث العلمي بأنها غير ذاتية، أي إنه ينصرف إلى الموضوع بكل أبعاده وعناصره، ويبتعد قدر المستطاع عن كل ما يتعلق في الباحث نفسه، أي على الباحث أن لا يتأثر بنزعته الخاصة وأفكاره الجاهزة وأحكامه السالفة، وذلك بأن يتناول الظواهر والأشياء والعلاقات كما هي، ويركز في الموضوع البحثي، ويستخلص وفق الحقائق وكميتها وموجوداتها، بصرف النظر عن طبيعتها سواء كانت غير مرغوبة.[2]

والموضوعية سمة علمية تناقض الذاتية وتعني أن يكون التفكير مرتبطا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفاصل في الحكم

[1]– مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، كامل حسون القيم، ط 1، ص 78.

[2]– المرجع السابق، ص 79.

على الظواهر من دون الاعتماد على ميول الذات الباحثة وتوازعها وآرائها الشخصية ومعتقداتها[1]، لكن هذا لا يعني أن الملاحظة الذاتية في كل الحالات مرفوضة ومخطئة، فهناك دراسات في اللغة والأدب والنقد يستند إلى بعض أحكامها على فروض ذاتية كنشأة اللغات فعلى الرغم من أنها غير علمية لكنها مهمة في البحث التاريخي، والذي يعني الباحث هو التحق من هذه الفروض علميا بواسطة الاختيار والبرهنة.

وقد قيل قديما إن اللغة العربية أقدم اللغات، وقيل أن اللغة الألمانية أقدم اللغات وغير ذلك من الفروض الذاتية، التي لا سبيل للبرهنة عليها علميا ونجد الأمر نفسه عند الحديث عن أفضل اللغات، وأكملها وأغناها، فهذا **ابن فارس** يقرر أن اللغة العربية خصت بالبيان وأن سائر اللغات قاصرة عنها وواقعة دونها لو احتاجت إلى التعبير بها عن شيء مثلا لوجدت عشرات من الألفاظ تدل عليها، ولو أردت ذاك بغيرها من اللغات لما أمكنك ذلك.[2]

ومثل هذا القول كثير ونفي للدرس اللساني القديم، ومنه ما قرره جالينوس عن اللغة اليونانية، من أنها أفضل اللغات، لأن سائر اللغات إنما تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.[3]

11ـ التراكمية: (Accumulation) يتسم النشاط العلمي بالتراكم المعرفي الذي يعني أن كل حقيقة أو إضافة علمية يمكن أن تحقق لغيرها مستقبلا نتائج أعمق وأدق فالمعرفة ابتدأت أولا حسية بسيطة هذه المعرفة البسيطة الحسية المجردة من اليقين العلمي قد فتحت للإنسان أبواب التفكير والتساؤل العلمي التجريبي... وهكذا يعني أن العلوم والمعارف وإن تشعبت وتعمقت ما هي إلا تراكمات لجهود سابقة لم يكتفي ببصيرتها الإنسان، لذا ذهب إلى بناء افتراضات وتساؤلات ساعدته على الاكتشاف ووضع القوانين والنظريات، فكل باحث أو عالم يضيف مقدرا من المعرفة، يتم على وفقها السير إلى اكتشافات جديدة وهكذا الجميع يؤدي

---

[1]– الأصول، تمام حسان، دراسة ابستمولوجية للفكر العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، ص 14.

[2]– الصاحبي، أبو الحسن أحمد بن فارس، ص 16-25.

[3]– الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد، ج 1، ص 39.

دوره بحسب مثابرته، ودقة أدوات قياسه[1] تجعل التراكمية العلمية من العلم خيارا لا ينتهي ولا يبطل إنما يفجر مشكلات وتساؤلات متواصلة بحسب اكتشافات والنتائج المستخلصة سلفا، والتي توصل لها الإنسان وعدت موروثا إنسانيا مهما كان مصدرها.

إن ما نطمح إليه في المرحلة الأولى هو السمو بالبحث اللساني إلى مستوى علمي ممنهج ومواكب لحركة تطور اللسانيات العلمية العامة بدلا من الإبقاء عليه في طور التأمل الشخصي، المبني على التعصب الفكري أو التجاهل للمبادئ الأساسية في البحث العلمي ويجمع العلماء على أن مصطلح اللسانيات (علم اللغة) حديث النشأة إذ أرسى دعائمه العالم السويسري الشهير **فرديناند ذي سوسير** (1857-1913) بيد أن هذا لا يعني أن البحث في اللغة بدأ منذ ذلك التاريخ، وأن الناس قديما لم ينظروا في اللغة ولم يدرسوها، بل إن البحث في تاريخ اللغة قديم، يعود به بعض المؤرخين إلى اكتشاف أول نظام كتابي في الحضارتين المصرية والسومرية، ولكن الشائع في تاريخ البحث اللغوي أن الهنود والإغريق كانت لهم اهتمامات باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة.

وكثيرا مايشير مؤرخو البحث اللغوي الغربيون إلى جهود الهنود والإغريق ولكنهم يعقلون جهود العرب والمسلمين في هذا المجال، استعمل اللغويون العرب القدماء مصطلح علم اللغة وأرادوا به العلم الذي يختص بجمع مفردات اللغة وتصنيفها وبيان معانيها وموضوعاتها، وبخاصة الغريب منها، وكانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشغلين باللغة من جانب آخر، فهم يعدون **ابن أبي إسحاق** و**يونس**و**سيبويه** وأترابهم من النحويين على حين يعدون **الأصمعي** و**ابن الأعرابي** و**الشيباني** وأترابهم من اللغويين.

[1]- المرجع السابق، ص 80.

وضع ابن خلدون تعريفا لعلم اللغة مفاده: بيان الموضوعات اللغوية أي معاني المفردات. وذكر أن الخليل كان سابق الحلبة في ذلك فألف كتاب **(العين)** ثم جاء بعده الزبيدي والجوهري والزمخشري فوضعوا المعجمات.[1]

ويرى الدكتور كمال محمد بشر أن عددا من الباحثين المحدثين مازالوا يستعملون مصطلح علم اللغة بالمعنى القديم المذكور آنفا، في حين يرى أغلبهم أن علم اللغة اليوم أصبح يعني مجالا أوسع مما كان يعيشه قديما من البحث في المفردات، وأصبح له منهج مخالف لمنهج القدماء في الدراسة، وأصبح موضوعه اللغة بجوانبها المتعددة الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والنحوية.[2]

المطلب الثالث:

أهمية الموروث اللساني.

[1]– المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ص 516-519.

[2]– دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص 39.

وتظهر أهمية الموروث اللساني العربي القديم بشأن مانحن بصدده كيف أنه فرق بين اللغة كواقع أو تنظيم قائم بذاته موزع ضمنيا على الجماعة المتبنية لذات اللغة وبين الأداء كاختيار حر نابع من الفرد المتكلم، وهو استعمال تزامني ضمن سياق معين، والأداء الكلامي عندهم لايخرج عما سمي عندهم عن حدود الطبع أو السليقة أو الملكة اللغوية الموسومة بسمة اللاشعور، والنقطة الأخرى المستوحاة من هذا الموروث اللساني أنه أشار إشارات واضحة إلى كثير من القضايا اللغوية العامة التي لم تدركها اللسانيات الغربية إلا منذ قرن من الزمن على ابعد تقدير حتى وإن كانت هذه القضايا تحتاج غلى مزيد من البسط وجهد كبير من المقارنة، ولكن المطلع على اللسانيات الأجنبية الحديثة ليصطدم بهذه القضايا في اللسانيات العربية القديمة تعترض سبيله لتتفاعل وتتقاطع آليا دون تأشيرة مسبقة مع أجد ما جد في حقول اللسانيات الغربية ومما هو بارز من تلك النصوص التي أوردناها أن:

1. الجمل غير منتهية وأنها من إنتاج المتكلم.

2. الألفاظ أو المورفيمات اللاكسيكية منتهية لارتباطها بتقلبات صوتية مرتبطة بأصوات محدودة في كل لغة.

3. الفرد ليس سلطانا على اللغة لأنها ليست تابعة له.

4. البعض ألح على النموذج التركيبي في اللغة " يميز الألسني الأمريكي (Sapir) بين التنظيم اللغوي المثالي أو الأنموذج وبين التنظيم المادي أو الواقع الكلامي[1] ويعير جل اهتمامه في دراسته الألسنية دراسة الأنموذج الذي يعتبره المبدأ الأساسي في حياة اللغة."

وتؤيد أفكار **ادوارد سابير** كثيرا مما أثاره لسانيون عرب قدماء بخصوص التمييز بين اللغة كمفردات من جهة وكمركبات إسنادية قائمة على نماذج مثالية من جهة ثانية " كل

[1]– في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2007، ص 167.

لغة تملك من الأصوات والبني والمفردات اللغوية ما يكفينا لسد حاجاتها التواصلية والحضارية إضافة إلى ذلك أنها تتضمن أنموذجا مثاليا.[1] "

بينما المفردات التي تلعب دورا أساسيا تنهض بتنظيم خبرة متكلمي اللغة على عكس القواعد التي يراها لا ترتبط بالثقافة ولا توجد أية علاقة بينها ملحوظة وبين تصور المجتمع للعالم.[2]

ومما هو واضح لا يحتاج إلى جدول عقيم أما الموروث اللساني العربي القديم قد عبر عن النموذج المثالي النظير وهو ما يوافق آلية اللغة آنيا بآليتها تاريخيا، وهذا لا يعني أن المتكلم اللاحق يقلد المتكلم السابق أو لا يعد ذلك تكرارا لما سبق فاللغة إبداع متجدد في مجال تركيبها وكلامها، وليست مدونة جامدة والثابت الذي يربط المتكلمين بها هو تلك النظائر المثالية أو العلل التعليمية بمصطلح **الزجاجي**.

إننا لا نرغب في المزيد من الإتيان بالنصوص والتراكيب لأن ما أوردناه من تراكيب لغوية تطبيقية قد يكون أضفى على القبولية مقاربة لسانية إن لم تزل ما يكنفها من غموض وتداخل لعناصر نحوية لسانية أخرى، فهي على الأقل أثارت حولها أفكارا وتصورات قديمة وحديثة، ونعترف بأنه لا يمكن لأية مقاربة أن تتعمق في جلاءها ما لم ترتبط بمقاربات وتحليل لعناصر لسانية أخرى ولاسيما الكفاءة والأداء واللغة والكلام والقواعد النحوية.

المطلب الرابع:

القضايا التي تثيرها اللسانيات.

أ.قضايا لسانية تحليلية (زمني وتزامني):

---

[1]– **المرجع السابق، ص 168.**

[2]– **الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام، ميشال زكريا، ط 1984، المؤسسة الجامعية، بيروت، ص 44.**

بالنظر إلى ولع **ذي سوسير** بالثنائية الشائعة عنده ونعني بها الزمني والتزامني، فإنه أبى إلا أن يعود إليها في نهاية الجزء الثالث ليعالجها وفق منظور ومتعدد الرؤى اللسانية في ضوء دراسة تطبيقية إبداعية، ودراسة تاريخية مقارنة كعادته مؤكدا ما كان ذكره في مناسبة سابقة من أن تبدل العلامة ليس انتقالا في العلاقة بين الدال والمدلول، وهذا الطرح لا ينطبق على تبدل الكلمات المنظومة اللسانية وحسب بل ينطبق على تطور المنظومة ذاتها،[1]غير أن هذه الثنائية على الرغم من هيمنتها فإنها لا تصرفه عن إثارة بعض القضايا الشائكة والمفيدة لقراءة النصوص وتحليلها، حيث يتطرق الرجل إلى الحديث بشيء من المعاينة البعيدة مما أسماه بالتحليل الذاتي والموضوعي.إن التحليل الذاتي عنده ذلك التحليل الذي ينهض به الأفراد على مستوى وحدات اللغة، بينما التحليل الموضوعي مبني على التاريخ أي على ماتمدنا به اللغة من معلومات عرفتها عبر مراحل وأجيال مرت بها، ضاربا المثل بإحدى الكلمات اليونانية (فرس) والتي يميزها النحوي في ثلاث عناصر:

1. الجذر 2. اللاحقة 3. النهاية الإعرابيةأي Hipp_o_s ولم تكن اليونانية تميز قديما إلا عنصرين Hipp_os وبالمثل فإن التحليل الموضوعي المبني أصلا على التاريخ ليرى في كلمة أخرى مثل:(Anabas) (كنت تحب) أربعة عناصر صرفية: AN_A_BA_S وكان اللاتين يقطعون هذا الفعل على النحو ANA_BA_S مرجحا إنهم كانوا يقرون المقطع BAS كلا إعرابيا أو نهاية إعرابية مقابل الجذر AMA.

ويستخلص التحليل التاريخي من الكلمات الفرنسية الثلاث:

Enfant (طفل) Entier (تام) enceint (حبلى) سابقة مشتركة بينها هي: En تشبه أداة السلب In في اللاتينية.

إن تحليل الأفراد الذاتي لمثل هذه الوحدات اللغوية لا يمكنه معرفة ذلك أدنى معرفة، موضحا " أن النحوي غالبا ما يأخذ بمعاينة أخطاء في تحليلات اللغة العفوية وفي الواقع أن

[1]– مفاهيم لسانية ذي سوسرية، عبد الجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2005، ص 44.

التحليل الذاتي ليس بأكثر خطأ من القياس الخاطئ، فاللغة لا تخطأ، ووجهة نظرها مختلفة وهذا كل ما في الأمر ثم ليس بين تحليل الأفراد وتحليل المؤرخ أي رابط مشترك، على الرغم من أن الطريقة المستخدمة هي واحدة، وتقوم على مقابلة الفئات التي تضم العنصر بنفسه، غير أن المهم أخيرا هو تحليل الأفراد وحده لكونه مبنيا على وقائع اللغة بشكل مباشر وليست التحليل التاريخي إلا شكلا منتقى منه، إن تحليل Hipp_o_s لا تنفي Hipp_osفي اليونانية الكلاسيكية ولكن يجب أن نحكم عليها بطريقة واحدة وهذا يدعونا مرة أخرى إلى طرح التمييز الجذري بين التزامني والزمني. "[1]

ويشير إلى أن المدرسة القديمة كانت توزع الكلمات من حيث المنهج لدراستها تفصيلا أو إجماليا إلى جذور ولواحق وسوابق ومواضيع، والقيمة كانت تعطى مستقلا كان مثل الجذر أم مندمجا مثل اللاحقة والسابقة، إلا أن لجهابذة النحويين المحدثين طبعا بالنسبة لعصر هذا اللساني لا يترددون في التصريح بأن هذه الجذور واللواحق وغيرهما لا تعدو أكثر من تجريدات صرفا لفكرنا، وما استعملنا إياها إلا لتسهيل ما نعبر به عن أغراضنا، وما إن تعقلنا هذه التجريدات حتى ندرك مدى ما تمثله أو تشخصه من الوقائع.

ومما يراه أن الأمر كلما كان منوطا بالتحليل فإنه لايسعنا أن نجد مخرجا أو منهجا إلا بعد تموضعنا في المستوى التزامني، على الرغم من أن التحليل الموضوعي المشار إليه آنفا تحليل لصيق داخليا بالتحليل الذاتي للغة الحية، وذو مكانة شرعية لاترد ولا تدحض في المنهج اللساني، ويفهم من بعض تحاليله إلى أن الكلمة وهي تدرس دراسة أفقية أي في حالة لغوية واحدة، تقسم إلى وحدات فرعية:

1ـ السوابق 2ـ الجذور 3ـ اللواحق4ـ النهايات الإعرابية. وفصله للسوابق واللواحق فضلا عن فصله الصيغة الإعرابية المميزة يجعلنا نتساءل عن الأثر اللساني الفكري لذي سو سير في

[1]– المرجع السابق، ص 47.

توصل بعض اللساني إلى تعريف الكلمة تعريفا جديدا مخالفا جذريا لما كان يغشاها من تعاريف تقليدية قديمة غير سليمة، ألم يعرف الجذر بقوله:

" إنما نسمي جذرا، ذلك العنصر الذي لايقبل التجزئة والمشترك بين الجميع ككلمات عائلة واحدة. "[1] مردفا القول: بأن كل تجزء إنما هو ذاتي ومادي وفهمت من كلمة (ذاتي) هنا كل مشتق من المشتقات من نفس الجذر ومن كلمة (مادي) الجذر نفسه بأنه يشترك في كل الكلمات المشتقة منه، ومن ثم ذكر أنه لايمكن فصل العناصر المادية إلا بإدراك جزء المعنى العائد إلى كل منها (العناصر).

وإذا كان الأفراد لا يميزون دائما بوضوح بين الجذور بطريقة واحدة، فذلك يرجع إلى اللغات التي ربما لا تدل أفرادها على السمات الدقيقة لمعرفة جذورها، مشيرا إلى أن للجذور في اللغات السامية صفات متشابهة بدرجة كبيرة، حيث التناوبات الصوتية فيها منتظمة، وبإمكانها تحديد عدد كبير من التناوبات المعقدة يذكرنا بشكل مذهل بالتقطيع الصوتي الذي يكاد يكون أحادي المقطع في اللغة الألمانية، أضف إلى ذلك أن الفونيمات لا تظهر في أي ترتيب لكونـها خاضعة لقواعد البنية، بينما الأمـر مختلف اختلافا كليا في اللغة الفرنسية بفعل تغير الجذر الصوتي فيها، وليس " لها سوى القليل من التناوبات كما أن لها إضافة للجذور الأحادية المقطع (Mange ـ marche ـ roule) أي أكل سار ودحرج، إن لها الكثير من الجذور ذات مقطعين صوتيين أو ثلاثة (épouvanta ـ hist ـ commence) أي مذكر وتردد وبدأ، وفضلا عن كل هذا وذلك فإن أشكال هذه الجذور وخاصة في نهايتها أنساقا متنوعة جدا يصعب إرجاعها إلى قواعد (guid_er regn_er tu_er soufll_er grond_er) أي: دل، ملك، قتل، نفخ، زمجر.

[1]– مفاهيم لسانية ذي سوسيرية، ص 47.

يجب أن لا ندهش إذا من كون الشعور بالجذور والإحساس به غير مطور كثيرا في الفرنسية."[1]

واللاحقة لا تضاف إلى الجذر عبثا، فبالإضافة إلى معناها الحسي فهي ذات قيمة دلالية وقد تكون لها وظيفة نحوية، ويمكن أن يكون للسابقة نفس الدورين، غير أنه من الصعب أن تعطيها لغتنا التي تمثل بها ذي سو سير على الأقل مثل الألمانية والسلافية الوظيفية النحوية.

والاختلاف بين السابقة واللاحقة اختلاف عام لكنه ليس مطلقا، لكن السابقة تظل محددة بشكل أفضل، وقد يعمل بعضها ككلمات مستقلة: sur فوق، mal سوء، contre ضد، في معظم الحالات فإن ما يبقى بعد حذف السابقة إنما يقوم مقام كلمة مبنية commencer (بدأ) recommencer (بدأ من جديد) خلافا للاحقة فإن الأساس الذي يبقى بعد حذفها يؤول إلى كلمة ناقصة organise: organisation وما ذلك إلا لفقد اللاحقة وجودا مستقلا.

قضايا في اللسانية الاستعادية:

يعالج ذي سو سير في هذا الجزء الخامس والأخير من كتابه قضايا لسانية متقاربة الطرح التجانسي:

1. منظور اللسانيات الزمنية.

2. اللغة الأكثر قدما مع إثارته لمسألة النموذج الأصلي.

3. إمكان إعادة بناء لغة من حيث طبيعته وغايته ودرجة تقويمه.

[1]. منهج البحث اللغوي،أحمد سليمان ياقوت،دار المعرف الجامعيةللطبع،2003.

4ـ إشهاد اللغة عن الأنتروبولوجيا وما قبل التاريخ من حيث (اللغة والعرق، النزعية العرقية، علم الحاثة اللساني، النموذج اللساني وعقلية المجموعة الاجتماعية، العائلات اللغوية والنماذج اللسانية.)

1ـ **منظور اللسانية الزمنية:** سبق فيما سلف كما أشرنا أن ذي سو سير قابل بين اللسانيتين الزمنية والتزامنية منهجا ومبدءا فالأولى ذات منظورين مستقبلي يتبع تيار الزمن أو حركته وآخر إرجاعي أو إستعادي مرتد إلى الماضي، حتى أنه كما ألمحنا سابقا ليقترح لما هو زمني " التزامن اللغوي " وهذا عس اللسانيات التزامنية التي لاتقبل إلا منظورا واحدا مرتبطا بمنظور الأفراد وعليه فهي لا تقبل إلا منهجا واحدا " وفي الواقع، ولكي نؤكد تاريخ لغة بتفاصيلها متمسكين .لذلك. بنياط الزمن، لابد أن يكون لدينا عدد لايحصى من صور اللغة ذاتها، مأخوذة من فترة إلى أخرى، فيرى أن هذا الشرط لايتحقق دائما فمثلا:[1] إن الرومانية أولئك الذين يحظون بمعرفة اللغة اللاتينية كنقطة انطلاق في بحوثهم، إنهم في كل لحظة يلاحظون وجود ثغرات ومثالب في توثيقها، وإذا لابد من رفض المنهـج المستقبلي ورد الوثيقة المباشرة سعيـا إلى الاتجاه المضاد زمنيا وصولا إلى المنظور الإستعادي فمن خلاله نضع أنفسنا في فترة محددة للبحث عما يتنج عن شكل ما، ولكن بحثا عن الشكل الأقدم."

ونلاحظ أن ذي سو سير يحدد هنا بوضوح أكثر دور كل من المنهجين المستقبلي والإستعادي فالأول ينهض بنقد الوثائق والثاني يقتضي نهجا يقوم على إعادة بناء ماغير من الأشياء، بفعل المقارنة بين عناصرها دون الطموح إلى أبعد من هذا من أجل بناء الصيغة الأصلية اعتمادا على علاقة منفردة ومنعزلة، لكن علاقتين مختلفتين راجعتين لأصل واحد تربط بينهما وحدة زمنية يمكن أن تظهر لنا بجلاء هذه المقارنة، مثال ذلك:Pater(أب)في اللاتينية و pitard وفي السنسكريتية، والأمر واحد في اللغات كلها إذا كانت لدينا عنها معطيات تاريخية كافية، وإلا فإن لغة مثل الباسكية لاتقبل المقارنة لإنعزالها، ونستطيع في

[1]– المرجع السابق، ص 71ـ 72.

حالة توفر اللمعلومات عن لغات متواشجة أن نعمل على إعادة بناء ما هو جوهري فيها للوصول من خلاله إلى الوقوف على الصورة التي عليها من قبل، ولكن بصورة غير مباشرة كما هي الحال بالنسبة للوثائق التي بحوزتنا تقفنا على لغات جرمانية كثيرا وقوفا مباشرا، وفي مقابل ذلك لا نعرف شيئا عن الجرمانية المشتركة التي تفرعت عنها هذه اللغات إلا بشكل غير مباشر، وهذا بفضل تطبيق المنهج الإستعادي.

وبشكل عام، فإننا إذا أردنا أن نرتد إلى الماضي لدراسة لغة ما، فإن المنهج الإستعادي يدخلنا في عمق هذه اللغة ويقفنا إلى أبعد مما توصلنا إليه الوثائق الأكثر قدما وعراقة، فتاريخ اللغة اللاتينية اللإستعادي مثلا لا يبدأ إلا في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد ثم نتسائل في اللجوء إلى المنهج المستقبلي لبعض التغيرات الصوتية التي عادة ما تقدم لنا نموذجين مختلفين كمثال صوت E اللاتيني الكلاسيكي في الفرنسية، حيث نجد صوتا واحدا قد تنوع في تطوره الزمني مولدا فونيمات عديدة فكلمة Pedum تعني (قدم) اللاتينية تولت إلى Pied في الفرنسية،

" وعلى نقيض ذلك فإذا ما بحثنا إستعاديا عما يمثله حرف E الفرنسي مفتوحا، نلاحظ أن صوتا واحدا هو نهاية عدة صوتيات (فونيمات) هي الأول متميزة الأرض Tram (Terre) "[1]

2ـ اللغة الأكثر قدما مع إثارة عبد الجليل مرتاض مسألة النموذج الأصلي:

وبشأن اللغة الأكثر قدما وعراقة وعلاقة ذلك بالنموذج الأصلي والأصيل لهذه اللغة، ينبه ذي سو سير إلى الخطورة التي تلحق أفكارا مسبقة معتمة حول ماهية اللغة الأكثر قدما من اللغة الأقرب إلينا حداثة، وذكر أن اللسانيات الهندية الأوروبية قد أخطأت حين أولت السنسكريتية بعد إكتشافها في نهاية القرن الثامن عشر دورا إحاليا استثنائيا خاصة وأن هذه الأخيرة تعد أقدم وثيقة هند أوروبية مما أتاح لها هذا التبوء لتكون في مرتبة النموذج الأصلي، مع أن

[1]– المرجع نفسه، ص 73.

القول بأن الهندو الأوروبية قد ولدت السنسكرتية واليونانية والسلافية والإيطالية شيء، والافتراض بوضع هذه اللغات الأربع ومايلحق بها موضع الهند الأوروبية شيء يخر إلى درجة أن بوب كتب يوما " لايعتقد أن السنسكريتية هي المصدر المشترك "، حتى كأنما وصل بنا الحال إلى افتراض هكذا ولو ارتيابا، ونحن لا ننكر أن الأناشيد الهندوسية أكثر عراقة من النصوص اليونانية ولكن يجب ألا تتكون لدينا فكرة مطلقة بأن السنسكريتية هي اللغة الأقدم دون التهاون بالنصوص التي تقدمها لنا هذه اللغة كشهادة لغوية مهمة، غير أن هذا لا يقودنا إلى تبني ما ذهب إليهAD Richet في كتابه الأصول الهندو أوروبية بوجوب استشارة السنسكريتية، على أن شهادتها تفوق قيمة شهادات العديد من نظائرها من اللغات الهندو أوروبية كافة حتى ظلت مثل هذه الأخطاء مطبقة على أبحاثنا اللغوية معتقدين أن اللغة التي ندرك أن لها السبق في الوجود هي المثل الأعلى للزمرة كلها دون التعمق والتروي لمعرفة الحالة الأصلية المشتركة من ذلك أناللسانيين لم يرعوا عن" الاستشهاد بالغوطية بدل الكلام على الجرمانية لكونها أقدم من بقية اللهجات الجرمانية بقرون عدة وأصبحت من دون حق النموذج الأصلي ومصدر اللهجات الأخرى. "[1]

ويعتقد ذي سو سير أنه لمن النادر أن يمثل شكلان لغويان أثبتتهما الكتابة في تواريخ متعاقبة اللغة نفسها تماما، وذلك في حقبتين من تاريخها وغالبا ما تكون أمام لهجتين ليست الأولى مثلا التتابع اللساني للأخرى وهذه القاعدة أثبتتا الاستثناءات بشكل جلي، وأشهر هذه الاستثناءات هو مثال اللغات الرومانية إزاء اللاتينية.

3ـ اللغة والعرق (رؤية لسانية انتروبولوجية):

انطلاقا من إحدى الأفكار الوجيهة التي كان ذي سو سير قد أقرها أو على الأقل أثارها، وهو يتحدث عن الثنائية الداخلية (الزمنية والتزامنية) وأن المقارنة بين لغتين أو أكثر لا تشكل إلا وسيلة لبناء الماضي، وأول مايلفت هذا اللساني النظر إليه أنه لمن الخطأ أن

[1]– مفاهيم لسانية ذي سو سيرية، ص 80.

نعتقد ذلك الاعتقاد الذي ظل يسود النظريات اللغوية معتبرا أنه في طوقنا أن نستنتج القرب الدموي من الوحدة اللغوية ضاربا المثل ببعض الشعوب ذات السمات الأنتروبولوجية التي يصعب على ملاحظ لها أن يدفعها مثل النماذج البشرية الجرمانية والاسكندينافية التي تتظاهر في الشعر الأشقر، والرأس المستطيل والقامة الممشوقة، ولكن هذه الملامح التي تتشارك خلقة فيها لا تدل على أنها تتكلم كلها اللغات الجرمانية، بل الألمان وسويسرا في سفوح الألب لهم نموذج انثر وبولوجي متباين تماما عن الإسكندنافية والحالة هذه فهل يعقل أن نقبل بأن لغة ما تعود بشكل خاص عرق معين؟ لكن ماهي الأسباب التي جعلت الشعوب المغزوة غالبا ماتتبنى اللغة الغازية والمثال واضح في بلاد الغال بعد انتصار الرومان، غير أن هذا ليس إلا عاملا وليس كل العوامل التي تبقى في منأى أو منعة من إثباتها حتى الآن وباختصار " يبدو أن ليس للقرب الدموي ولا للطائفة اللغوية أي علاقة ضرورية ومن الصعب استنتاج نتائج الأولى من الثانية، وأخيرا ففي الحالات الوحيدة حيث لا تتوافق شهادات الأنثرو بيولوجيا وشهادات اللغة نجد أنه ليس ضروريا أن نقابل بينها، ولا أن نختار منها إذ تحتفظ كلتاهما بقيمتها الخاصة. "[1]

المبحث الثاني: دراسة منهج عبد الجليل مرتاض.

المطلب الأول: ترجمة عبد الجليل مرتاض.

" عبد الجليل مرتاض من مواليد مسيردة (تلمسان) حاصل على دكتوراه دولة في الدراسات اللغوية، أستاذ بجامعة تلسمان[2]، ومن المهام التربوية والعلمية عمل أستاذ في التعليم الثانوي ثم أستاذا في الجامعة ثم أستاذا زائرا في جامعات الوطن، وقد عمل مشرفا على عشرات الرسائل في الماجيستير في اللغة العربية وعلومها، وعلى رسائل عديدة في الدكتوراه وناقش عشرات مذكرات في الماجيستير في مختلف الجامعات الجزائرية كما أسهم

[1]. اللسانيات العامة،سليم بابا عمر،دار النشر الجزائر،ط1، 1990.

[2]– في مناهج البحث اللغوي،عبد الجليل مرتاض،دار القصبة للنشر،الجزائر،ط 2003.

في تأهيل أساتذة جامعيين داخل الجزائر وخارجها، ومن الوظائف الإدارية التي أسندت إليه في التعليم العالي:

ـ رئاسة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تلسمان 1978ـ1981.

ـ مدير معهد اللغة العربية والأدب بجامعة تلمسان 1981ـ1984.

ـ مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للغات، والأدب العربي1984ـ1990.

ـ عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ 1981 إلى الآن.

ـ عضو اللجنة الوطنية لبرنامج اللغة العربية.

ـ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمي.

ـ عضو المجلس الأعلى للغة العربية منذ 1998.

وقد ألف عبد الجليل مرتاض العديد من المؤلفات اللغوية والأدبية بلغت 26 كتابا عدا أعمال علمية أخرى في اللغة العربية وعلومها وحقولـها قيد الطبع بالإضافة إلـى

علومها ونشاطها عبر السنين، ومن نشاطاته العلمية الأخرى نذكر ما يلي:

ـ مدير مجلة المصطلح التي صدر العدد الأول سنة 2002 والعدد السادس في ماي 2008 وهي تابعة للمخبر.

ـ عضو في هيئة التحرير لمجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر منذ 1999 إلى الآن.

ـ عضو ف هيئة التحرير مجلة المجمع الجزائري للغة العربية.

ـ خبير في المجلات الجامعية الوطنية العديدة.

ـ خبير في جائزة اللغة العربية التي يمنحها المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر كل سنتين.

وإلى جانب هذه النشاطات له كذلك نشاطات عليمة عامة وهي:

ـ المشاركة في عدة ملتقيات وطنية ودولية داخل الجزائر وخارجها.

ومن خلال هذه السيرة الذاتية الموجزة لعبد الجليل مرتاض ندرك ذلك السجل الحافل بالمهام والوظائف المختلفة والمتعددة لديه، ومازال لحد الآن يعمل على إثراء المكتبة العربية بأبحاثه ودراساته.

كانت اللغة العربية موضوع دراساته في غالب ما كتب ومركزا اهتمامه، لأن " تعليم العربية يجب أن يكون همنا الأول ولا يشغلنا عنه شاغل، ولا يلفتنا عنه لافت، وهو فرض لا يسوغ لنا أن نبحث له عن تعليل ،"[1] ولذا فهو يسعى من خلال ذلك من الاستفادة من مناهج البحث اللغوي الحديثة، وهذا مظهر من مظاهر التحديث لديه،والقدم أو المعاصرة، والأصالة فلم يكن يغلب جانبا على آخر، لذلك لم يكن من أصحاب الحداثة ولا ممن تأثروا بآرائها الهدامة، وانساقوا ورائها، والدعاية لها أو الوقوف موقفا عدائيا من آراء القدماء عندنا ومن تراثنا الأصيل، بل كان دارسا يجمع بين الأصالة والحداثة ينتقد كلما لا ظهر له الحق فلا يقبل القديم لقدمه أو يرفض الحديث لحداثته ذلك ماتبين لنا من خلال قراءتنا الوصفية لبعض جهوده في النحو والصرف، وما دمنا تكلمنا عن إسهامات عبد الجليل مرتاض في ميادين مختلفة من المعرفة يحسن بنا أن نذك بعض المؤلفات التي ألفها ملخصين مضمونها اعتمادا على ماذكره المؤلف نفسه، عندما تحدث عنها وتصميما للفائدة نذكر له هذه المؤلفات:

[1]– علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995، ص 1.

1. بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، دار الأشرف بيروت، 1988. ورد في هذا الكتاب دراسة عامة للعوامل التي أفضت إلى صناعة النحو العربي، نشأة وتطورا من 50 هـ إلى 150 هـ ولاسيما في البصرة وأمصار عربية وإسلامية أخرى.

2. الموازنة بين اللهجات العربية، دار الغرب، وهران، هو الآن في الطبعة الثانية يتناول الكتاب المدونة اللسانية، والتراكيب النحوية والصوتية والصرفية في ضوء القراءات القرآنية، واللهجات العربية الفصيحة.

3. اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار الغرب، وهران، يتناول الكتاب جملة من النشاطات اللسانية عند العرب القدماء في ضوء المناطق والآفات الكلامية، ورواية اللغة وجمدها، وتدوينها مذيلا بعلم اللهجات الأدبي القديم عند العرب.[1]

4. اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط 3، يتعرض الكتاب إلى الإقترابات التواصلية شفهيا وخطيا مع تحليل نصوص وخطابات مختلفة من خلال محاولة

إسقاط النظريات التبليغية اللسانية الحديثة.

5. التهيئة اللغوية النحت في العربية، دار هومة، الجزائر، يعالج الكتاب نشأة النحت اللغوي تاريخيا عند العرب، وقواعده وأهميته ومواقف القدماء، والمجامع العربية منه، حيث عرض لموقف الثدماء كسيبويه 180 هـ وابن فارس 395 هـ والخليل ابن أحمد الفراهدي 175 هـ وابن مالك 672 هـ والثعالبي...

ثم تكلم عن ظاهرة النحت في العربية بين القدماء والمحدثين مناقشا ومحللا ومن المحدثين الذين ناقش آرائهم وحللها:

الأدب نخلة الياسوعي، وعبد الواحد وافي، وأحمد فارس الشذياق، والأب لويس شيخو، وعبد الله أمين، وإبرهيم السامرائي، وصالح بلعيد، وعبد القادر المغربي، وإسماعيل

[1]- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003، ص 87-97.

مظهر وغيرهم.. ثم يعطي رأيه أخيرا في النحت مقترحا مصطلحات جديدة، ثم يختم بحثه في هذا الموضوع بتقديم رأي المجمع في التركيب المزجي ومناقشته، وهناك العديد من المؤلفات يضيق المجال عن ذكرها اكتفينا بما ذكرناه منها على سبيل المثال لا لحصر.[1]

المطلب الثاني:

في العصر الحديث خضعت البحوث اللغوية عامة إلى مناهج علمية دقيقة وأكثر المناهج الحديثة تتفق على أن دراسة اللغة تتدرج عند أغلبهم على مستويات أربعة صوتية صرفية، نحوية ودلالية[2] وإذا كان البحث اللغوي الحديث قد استفاد كثيرا من تلك المناهج فما مدى استفادة عبد الجليل مرتاض من تلك المناهج الحديثة؟ أو بالأحرى ما أنواع المناهج التي استخدمها في بحوثه اللسانية؟

في هذا المبحث سنتكلم عن منهج البحث عند عبد الجليل مرتاض وذلك من خلال بعض مؤلفاته التي ظهرت فيها جهوده اللسانية أكثر من غيرها من المؤلفات التي ألفها، وهي كتالي:

في رحاب اللغة العربية، دراسة لسانية في الساميات العربية بين الطبع والتطبيع، دراسة لغوية تحليلية لتراكيب عربية، وقبل ذلك نود الإشارة إلى أن عبد الجليل مرتاض وكغيره من الباحثين المحدثين أولى قضية المناهج في البحوث اللغوية عناية خاصة إدراكا منه " لأهمية التفكير المنهجي في عصرنا، فهو العصر الذي تتضاعف معارفه وعلومه بسرعة مذهلة، وهو العصر الذي يقصر فيه الفاصل بين النظر والتطبيق حتى لينعدم أو يكاد، وبهذين صار العلم أساس لتقدم في جميع المجالات، كما أضحى العامل الأساس في كل تنمية " [3] ومن مظاهر اهتمام عبد الجليل مرتاض بمناهج البحث اللغوي، تأليفه كتابا في الموضوع بعنوان (**في مناهجالبحث اللغوي**) فماذا يراد بمناهج البحث اللغوي؟يجيبنا عبد

[1]– التهيئة اللغوية للنحت في العربية، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للنشر والتوزيع، 2006، الجزائر.

[2]– قضايا الدرس اللغوي، نادية رمضان، مؤسسة شباب الجامعة، 2001-2002، ص 12.

[3]– البحث العلمي، صلاح الدين شاروخ، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ص 60.

الجليل مرتاض بقوله: ويراد بمناهج البحث في اللغة الطرق والميكانيزمات التي تعود اللغويون أن يعالجوا ويدرسوا بها الأنماط والتراكيب التي بدونها تنضوي إجمالا تحت علم من علوم اللغة .

وإذا تعددت الرؤى المنهجية لقضايا اللغة، ومناهج البحث المعاصرة اليوم فإن عبد الجليل مرتاض يعتقد صعوبة الحديث عن المنهج في حد ذاته وعن تلك الصعوبة يحدثنا قائلا: " ويرى فريق ثالث أن هذه الصعوبة... إنما تتجلى في الحديث عن المنهج نفسه ونحن من أصحاب هذا الفريق الأخير"[1]، وعن آرائه في المنهج نقتطف من كتابه **(في مناهج البحث اللغوي)** هذه الفقرات يقول عبد الجليل مرتاض في معرض حديثه عن المنهج: " ولعله مما يزيد هذه الصعوبة صعوبات لأن المنهج بشكل عام في أي علم من العلوم ليس حكما على زمن، ولاعلى جيل دون جيل... وأن مانحسبه اليوم منهجا قد يصير في غد قريب وبعيد لاشيء، ويعني في كل الأحوال أن المنهج ذو بداية بدون نهاية، وإنما ماشيده غيرك قد تفوضه عليه اليوم.."

وذلك مما يهني تغير المناهج وعدم ثباتها على حال ثم يقول: "إن مناهج البحث تتجلى بشكل خاص في غايتها وقصدها وفي الإجراءات العلمية التي تتخذها أو ترغب في اتخاذها سبيلا نراه مناسبا... وفي المبادئ التي تنهجها أو في ضوءها بعامل مادتها التي تشرع في سبل أغوارها والتقنيات التي تريد أن تطبقها مقابل إهمالها أو إغفالها لتقنيات أخرى بديلة لها..." (بتصرف) يضيف قائلا: " إن منهجا لغويا قديما ليس متعادلا ولا متوازنا كليا مع منهج لغوي جديد، فكل المنهجين لهما هدف حسب مكوناتهما وثقافة عصرهما لدراسة اللغة وليس الاختلاف إلا في النظرات المنهجية لمعالجة القضايا اللغوية الشائكة التي لن يحلها منهج جديد لجدته، كما لم يهملها كل الإهمال منهج قديم لقدمه. "[2]في الصفحات التالية نحاول أن نبين منهج البحث عنده وذلك من خلال تلك المؤلفات التي أشرنا إليها

[1]– في مناهج البحث اللغوي، عبد الجليل مرتاض، دار القصبة للنشر والتوزيع، ط 2003، ص 38.37.

[2]– المرجع نفسه، ص 39.

سابقا والتي وقع اختيارنا عليها لما اشتملت عليه من قضايا لسانية... ونحن قمنا باختيار ثلاثة كتب من بين مؤلفاته وأول كتاب يندرج تحت عنوان:

ـ في رحاب اللغة العربية، ويتلخص منهجه في هذا الكتاب كالتالي:

1ـ اتبع عبد الجليل مرتاض خطة تقوم على مايلي:

لقد قسم موضوعات هذا الكتاب إلى ستة أقسام، تناول في القسم الأول الحديث عنة أصالة النحو العربي من عدمها، ثم بين إلى أي مدى أثر النحو الأجنبي وخاصة المنطق الأرسطي في نشأة الدرس اللغوي العربي، وفي القسم الثاني تعرض إلى موضوع مقاربات تشخيصية للإشكالية اللغوية في الوطن العربي، وفي القسم الثالث تناول الحديث عن أنظمة لسانية يراها كانت مهملة في اللغة العربية، دون أن يغفل التعرض إلى إشكالية نظام التصرف الإعرابي وعلاقته الدلالية في العربية ليعرج بعد ذلك على موضوع في مجال ما يعرف بالقبولية في العربية بين الحداثة اللسانية والتراث، وفي الأخير يختم أقسام هذا الكتاب بقسم يجعل خاتمة تلك الأقسام كلها يقدم فيه بصمات قد تركها الإستشراق في اللغة العربية، والجدير بالذكر أن عبد الجليل مرتاض يمزج عنده الدرس اللغوي باللساني في أغلب ما يكتب من بحوث، ولذلك فإننا نقصر دراستنا على ماله صلة بالدراسات اللسانية، وذلك وفق الموضوع الذي حددناه، والمنهج الذي اخترناه.

2ـ مايلاحظ على هذه الكتاب هو خلوه من المقدمة والخاتمة، وكأنما أقسام مادته تبدو لأول وهلة منفصلة عن بعضها البعض، مما يجعلنا نعتقد أن موضوعاته كتبت في أوقات متباعدة، ثم قام المؤلف بالجمع فيما بينها ليؤلف منها مادة الكتاب ولكن مهما صح هذا الاعتقاد لدينا فإن مما لاشك فيه أن هناك صلة بين أقسام الكتاب، الشيء الذي يجعلها تصب في هدف واحد وترمي إلى غاية واحدة وهي إثراء الدرس اللغوي مادام الموضوع منصبا على اللغة نفسها، ولكن الأسئلة التي أثيرت لدينا بعدما افتقد الكتاب لمقدمة هي: لماذا بدأ الكتاب من غير مقدمة مع أن المتعارف

عليه منهجيا أن يبدأ كل كتاب بمقدمته؟ ولذا كانت المقدمة هي أول ما يبدأ به كل باحث أو كل مؤلف إذ لا يخفى علينا ما للمقدمة من أهمية في توضيح ما يتعلق عموما بمادة كل كتاب ومنها ما تعلق بمسألة المنهج فلو كان للكتاب مقدمة لتيسر علينا فهم أو معرفة المنهج الذي اعتمد عليه الكاتب أو سار عليه هذا الكتاب ونسأل أيضا هل نجيز لأنفسنا أن نقول معتقدين أن المقدمة يمكن أن تكون قد سقطت سهوا، فلم تطبع ما طبع من موضوعات لأنه من غير المعتاد في كل ما كتب عبد الجليل مرتاض أن لا يقدم لكل ما كتب، وهو الذي يدرك أهمية المقدمة في الجانب المنهجي في كل بحث، وعل فرض صحة ما ذهبنا إليه من تبرير، فإن هذا إن وقع ليعكس تلك المتاعب التي يواجهها كتابنا مع الطباعة في دور النشر في بلادنا.

3. ومايزيدنا اطمئنانا وثقة، هو اعتماد عبد الجليل مرتاض على مناهج البحث اللغوي الحديثة، واستعماله لها في كل ماكتب، ومن تلك المناهج في هذا الكتاب:المنهج الوصفي، والتحليلي، إلى جانب مناهج أخرى، كالمنهج النقدي أو التاريخي أو المقارن، وهذا يفسر لنا حقيقة، وهي أن عبد الجليل مرتاض لا يحبس نفسه في منهج واحد بل يلجأ بحسب طبيعة الموضوع إلى المزج بينهما أو التوزيع في تلك المناهج ليستفيد منها جميعا، ويفيد القارئ في آن واحد، فقد يلجأ لغلى الوصف ثم إلى التحليل اعتمادا على ما يورده من نصوص ويعمل فيها عقله ويبدي رأيه فقد يلجأ إلى موضوعات قديمة فيسلك المنهج التاريخي وأقوال العلماء المتقدمين فيها، أو يقف مقارنا بين بعض الموضوعات وفي كل ذلك يتحرى الأمانة في النقل والصدق في العمل لكن من غير مبالغة أو إطراد للقديم لأنه قديم ودون أن تندب شخصيته في غيره وحتى لا نتهم بالإنشائية في التعبير، أو التحيز لشخصية نقدم لما نراه برهانا على ما ذكرناه ومن الأمثلة على منهجية الوصف القائم على التحليل.[1]

[1]– النحو العربي والمنطق الأرسطي القسم الأول من كتاب في رحاب اللغة، عبد الجليل مرتاض، 2007، ص 2.

ما نستكشفه من عباراته ونلاحظ هنا والجديد في النص أعلاه وضع (خا) فوق الحرف الساكن... لنتأمل هذا النص السيبوي نورد تحليل **سيبويه**بيت امرئ القيس حيث يفسر موقع الرفع لكلمة قليل ومن الأمثلة على منهجه النقدي والمقارن ما وجهه من نقد حين تناوله لموضوع اللسانيات العربية الحديثة من عدمها إذ تساءل عبد الجليل مرتاض هل لدينا نحن العرب لسانيات عربية؟ ولنتعرف على حقيقة اللسانيات وتاريخ ظهورها وذلك من خلال عدة أسئلة أثارها مثل قوله:

" هل هذه المصطلحات من عدم اللسانيات مبتكرة أو موروثة؟ عند طرقه لموضوع اللسانيات العربية الحديثة من عدمها أو بصيغة أخرى هل لدينا لسانيات عربية حديثة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الأخرى."[1]

وطرح عبد الجليل مرتاض لنتعرف أكثر على المنظور اللساني في حديثه عن الخلفية اللسانية للغة العربية البعيدة والقريبة متشابهتان نسبيا، ذلك أن الأرباب القدماء الذين يعرفون هذه اللغة معرفة أفضل وأعمق منا يشيرون بوضوح وفي مواضع مختلفة إلى أن هذه اللغة التي ورثوها عن عهود سابقة ليست هي نفس اللغة التي وجدوا أنفسهم يتعاملون بها ويتلقونها من ذلك أن أبا جعفر الباقر 60-118 هـ حين أومأ عرضا بأن أول من نتكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل جاور يقايا جرهم وأصهر إليهم يجد ابن سلام الجمحي 139-231 هـ يعلق قائلا: " ولكن العربية التي عنى محمد بن علي اللسان الذي نزل به القرآن وما تكلمت به العرب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا. "[2]

وهذا أبو عمرو بن العلاء العلامة الصادق الأمين ينسل إليه قوله الشهير: " مالسان حِمْيَر وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا. "

---

[1]- المرجع نفسه، ص 144.

[2]- في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ط 2، 2007، ص 65.

يفهم من كلام ابن سلام أن عربية صدر الإسلام غير عربية عصره أي أن هذه اللغة تغيرت تغيرا سريعا في ظرف قرنين ونحن اليوم لسنا بحاجة إلى إقامة الدليل على صحة كلام ابن سلام وهو نفسه استعمل مئات من المصطلحات النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية والفقهية والنقدية والصوتية والأدبية... لم يكن لعربنا قبل الإسلام علما.

4. يمتز منهجه كذلك في هذا الكتاب، من حيث الأسلوب لغة العقل أو الفكرة ويتجلى ذلك فيما يعرض له من حقائق وأفكار وهي لغة تمتاز بالسلاسة، والوضوح لا يركب فيها المنطق الصعب أو الغامض تتجلى فيها خصائص الأسلوب العلمي الذي يعتمد على الدقة وضرب الحجة وإقامة الدليل، فيلتقي فيه العقل بالنقل وحتى لانكون نظريين نورد جملة من الأمثلة تبين لنا خصائص ذلك الأسلوب العلمي الذي استخدمه عبد الجليل مرتاض كأسلوب الترجيح ودعم الرأي بالحجة الناصعة والرهان العقلي الواضح، يقول مثلا: " ولسنا في حاجة من المزيد إلى التدليل على هذه المسألة ولكن الذي نرجحه أن سيبويه إذ هو هنا يرجح أو يدلل أنه أسلوب يخاطب العقل ويستنهض الفكر، ويثير الذهن كذلك يتجلى في إتباع طريقة تقوم على طرح السؤال، بمثل قوله: كيف اهتدى العرب إلى وضع المصطلحات؟[1] وأيضا مثال مناقشة ابن فارس من خلال تساؤله ماذا كان يضير العلامة ابن فارس لو أضاف بضع كلمات من أجل نسبه كل اختلاف إلى منطقته أو قبيلته ويقول مثلا: " لسنا هنا في دراسة لهجية أو ديالكتولوجية ولكن هذا لا يحول بيننا وبين الإشارة إلا أن هذه الاختلافات الست عشر وسواها من اختلافات أخرى ثابتة ثبوتا لا يتطرق إليها أدنى شك."

5. هناك ميزة أخرى تميز بها أسلوبه وهي استعماله مصطلحات لغوية ولسانية حديثة مما يعطي إشارة واضحة إلى تأثره أي عبد الجليل مرتاض بنظريات البحث اللغوية الحديثة وما جاءت به من مصطلحات مبتكرة ومن تلك المصطلحات التي كثر ورودها لديه في هذا

[1]- المرجع نفسه، ص 69-70.

الكتاب" اللكسيك، المورفيمات، المورفين النحوي، الفونولوجيات، اللسانيات الدياكرونية اللسانيات السانكرونية، السانتكس، تمثيل فونتيكي..."[1]

ولعبد الجليل مرتاض مصطلحات أخرى كان لهم الفضل في ابتكارها اعتمادا على قاعدة النحت في العربية والذي يعد الظاهرة ورد استعمالها في كلام العرب والتي أفرد لها المؤلف كتابا ومن مثل تلك المصطلحات (العلمغة) أي علوم اللغة أو (الفقلغة) أي فقه اللغة أو مصطلح (العلمغيون) علماء اللغة وكذا (الفقلغيون) أي فقهاء اللغة.

المطلب الثالث: منهج البحث في كتابه (دراسة في الساميات واللهجات العربية القديمة)

1. ودائما في حديثنا عن المنهج، فإنه يظهر لنا منهجان بارزان في هذا الكتاب:

- المنهج التاريخي يقوم بدراسة تطور اللغة في مراحلها المختلفة عبر القرون، اعتمادا على النصوص المدونة لهذه اللغة،[2] والمنهج المقارن يقوم بالمقارنة بين هذه التغيرات أو بين الأصل وما تفرع عنه أو م آل إليه من فترة أخرى.[3] فدراسة الساميات واللهجات العربية القديمة هي موضوعات ذات صلة بالتاريخ، ذلك أن اللغات واللهجات قديمة قدم التاريخ الإنساني، واللغة قديمة قدم الوجود البشري، ومنذ أن بدأ الإنسان يبني مع أفراد جنسه مجتمعه الإنساني وقد لجأ عبد لجليل مرتاض إلى أسلوب المقارنة بين اللهجات وبين الساميات العربية القديمة لمعرفة الخصائص.

ويأتي الباب الثاني والأخير بعنوان: (التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة) وذلك في أربعة فصول:

الفصل الأول: في البنية السانتاكسية.

الفصل الثاني في البنية المورفولوجية.

---

[1] – في رحاب اللغة العربية، عبد الجليل مرتاض، ط 2، 2007، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 80-81،134، 145، 148.

[2] – في النحو المقارن بين العربية والعبرية، سيد سليمان عليان، دار الثقافة للنشر، ط 1، ص 6، 2002.

[3] – التفكير بين القديم والجديد، نقلا عن المدخل إلى البحث اللغوي، محمد السيد علي بلاس، ص 43.

الفصل الثالث: تحدث فيه عن البنية المعجمية والدلالية.

الفصل الرابع: كان في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب ولانجد في الأخير خاتمة، إنما يذكر ثبت المراجع وفهرس مواد البحث.

إن مايميز منهجه مراعاة الترابط العضوي، والتسلسل المنطقي بين الفصول وكذا بين البابين الأول والثاني حيث بدأ في الباب الأول الحديث عن اللغات السامية متبعا الظواهر اللغوية في السامية ومأأصابها من تغير، أو تطور معتمدا على المنهج التاريخي الذي يعد من أنسب المناهج لمثل هذه الدراسات ثم انتقل إلى دراسة التراكيب اللسانية في اللهجات العربية، معتمدا دائما المنهج ذاته، باعتبار أن هذه اللهجات بادت قبل أن تعرف اللغة العربية طريقها نحو التطور وقبل أن تتخذ الشكل الذي آلت إليه قبيل الإسلام إلى حين نزول القرآن الكريم، الذي استطاع أن يوحد فيما بين تلك اللهجات العربية، وإذا كان المنهج التاريخي والمقارن هما من أكثر المناهج التي اتبعت في هذا الكتاب فإننا نجد عبد الجليل مرتاض يستعين بغيرها كلما سمحت الظروف بذلك، كالمنهج الوصفي والتحليلي، إذ لولا المنهج الوصفي ما استطاع أن يرصد ظواهر اللغة التي تتعلق الحروف والأصوات بالجمل أو التراكيب[1].. ولولا التحليل ما عرفنا الآراء والأفكار التي قد توصل إلى حقائق يحتاج إليها البحث اللغوي الحديث، وحين يتوصل عبد الجليل مرتاض إلى رأي في ذلك فإنه يشير إلى ذلك صراحة ويتجلى التحليل في بعض العناصر التي تظهر في مثل هذا العنوان .(تحليل هذه النصوص من وجهة نظر لسانية) .

ولا يشك شاك في أن عبد الجليل مرتاض في قراءاته وتحليلا لتلك النصوص متأثر بمناهج الدرس اللغوي الحديث فاللغة عنده هي موضوع كل أبحاثه ودراساته اللغوية مستفيدا من تلك المناهج قدر المستطاع، فالدرس اللغوي لديه لا يتجزأ ولذلك تراه يتناول اللغة في

[1]– دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص 98.99.

جميع مستوياتها المعروفة الصوتية والنحوية والدلالية والصرفية، ونجد ذلك في هذا الكتاب، على سبيل المثال عند دراسة لتراكيب اللهجات العربية البائدة أو القديمة، فالمستوى الصوتي والنحوي والصرفي ليسوا إلا جزءا من الدرس اللغوي لديه ولعل هذا هو الأنسب لدراسة اللغة وتعليمها.

المطلب الرابع: منهج البحث في كتابه (العربية بين الطبع والتطبيع) دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية.

يتبين لنا منهجه بكل وضوح وذلك كما يلي:

1. يبدأ الكتاب بمدخل ثم يلجأ فيه عبد الجليل مرتاض إلى تقسيمه أقساما دون أن يسميها أبوابا أو فصولا كما هو معتاد، والكتاب جعله في قسمين كبيرين:

تضمن القسم الأول الحديث عن التراكيب، أما الثاني فتناول فيه الحديث عن عوامل التنمية اللغوية في اللغة العربية، ولعل هذا القسم الأخير يفينا القسم الأول من قسمي هذا الكتاب ذلك لأننا نسعى في هذا البحث إلى دراسة ما تعلق بالقضايا اللسانية فقط كما جاءت في هذه الدراسة.[1]

2. واضح من خلال عنوان هذا الكتاب أنه اعتمد على الوصف الوصفي التحليلي الذي يهتم بتتبع ظواهر اللغة شرحا، وتحليلا واستنتاجا، دون الاعتماد كليا على النقل أو الاكتفاء به أو على سرد الشواهد وحدها... والتحليل يستند على الوصف لأن المنهج الوصفي هو الذي يهتم بدراسة اللغة أو اللهجة عن طريق الوصف الدقيق لأصواتها ومقاطعها ولكنه لايقف عند مجرد الوصف حين يعرض للظاهرة التركيبية اللغوية العربية بل يقوم بتحليل تلك

[1]- المرجع نفسه، ص 100.

التراكيب، يقول عبد الجليل مرتاض في اعتماده المنهج التحليلي " وخلال هذه الإثارة سنعتمد على عدة أدوات ووسائل لسانية لهذه التراكيب وتحليلها."[1]

3ـ مايميز منهجه أيضا في هذا الكتاب اعتماده على الشواهد النقلية من كلام هدف العرب سواء كانت شعرية أو نثرية وهذا طبيعي، لأن التراكيب العربية هي ميدان بحثه ودراساته ولذلك لا يستثني عبد الجليل مرتاض كثيرا من التراكيب في العربية على ما عد لكثير من الدراسين أنها من التراكيب الشاذة بل من ورود بعضها في القرآن الكريم ومن هذا المنهج يؤيد الكوفيين الذين لم يستثنوا أي تركيب مادام قائله عربي حضري كان أو بدوي وهو في وصفه وتحليله لتلك التراكيب يورد كثيرا من الأقوال والآراء لدى العلماء وعن الهدف من هذه الدراسة التحليلية يحدثنا عبد الجليل مرتاض قائلا: " لكن رغم الذي يرمي إلى التمثيل على العربية بين كونها ملكة لغوية وكفاءة أدائية مرتبطة بالفرد الذي كان يوظفها ويتواصل بها شعبيا وأدبيا وبين كونها تطبيعا تعسفيا " وعن الموضوعات هذا القسم من الكتاب يقول: " إن عملنا سيقتصر إذا على إثارة بعض القضايا اللغوية مثل: التركيب المزيد والتركيب المنقوص والتركيب بالتقديم والتأخير، والتركيب بالإبدال على مستوى الوحدات.[2]

[1]– منهج البحث اللغوي، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، 2003، ص 116.

[2]منهج البحث اللغوي،أحمد سليمان،ص:18/17.

الفصل الثاني

اللغة العربية غد عبد الجليل مرتاض

المبحث الأول
اللغة العربية وعملية التواصل

المبحث الأول:اللغة العربية وعملية التواصل:

المطلب الأول: المفهوم العام للغة العربية:

للغة العربية علاقة وطيدة بالكلام واللسان، فإذا كان الأول " نوع من السلوك الفردي الذي يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة "[1]، فإن الثاني يدل على النظام العام للغة، ويضم كل مايتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام ويتكون من ظاهرتين مختلفتين، اللغة والكلام أم الثالث هو اللغة فهي تتشكل في الأساس من السمات المشتركة في كلام الأفراد، وما استقر عليه منها في أذهانهم عبر تعاقب الأجيال، ومن هنا فاللغة موجودة لدى الجماعة الناطقة على شكل آثار متموضعة في كل دماغ، وهي أشبه ما تكون بمعجم جميع النسخة المتماثلة موزعة بين الأفراد لكنها خارجة عن إدارتهم، وعليه فإن اللغة في نظر **ذي سو سير** " واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس، وبعبارة أخرى فهي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين، ونلاحظ أن ذي سو سير يشبه اللغة بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه "[2]، إلا أنها مستقلة في ماهيتها عن الفرد ذلك أنه يجب على الفرد الانصياع المطرد إلى لغته ولا يمكن له مخالفة ضوابطها إلا في حالة أشكال الإبداع الخلاق على حد تعبير **عبد الجليل مرتاض**[3] إن اللغة ومن جهة نظر ذي سو سير نظام، ذلك أنه يعتبرها نسقا معينا مضبوط الحدود وهي الجانب الاجتماعي من الكلام الخارج عن نطاق الفرد لأن الفرد غير قادر على أن يخلقها أو أن يحورها وهي لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقب بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة وهي عنده إنتاج اجتماعي لملكة اللسان.

[1]- محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفة بن عيسى، ط 1، 1993، الديوان الوطني للمطبوعات، جامعة الجزائر، ص 63.
[2]- اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، ص 49.
[3]- اللغة والاتصال، عبد الجليل مرتاض، العدد 16، جويلية، 2014، جامعة وهران، ص 6.

وهي مجموع التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة، وهذا النتاج يكتسبه الفرد عفويا وانفعاليا وهي لا تفرض تفكيرا مسبقا أبدا، ولا يتدخل التفكير إلا في النشاط التصنيفي، حيث تمثل اللغة ذلك المظهر الرئيسي الموروث للتراث اللغوي ذو النظام النحوي، المتجانس المستعمل بين كل أفراد المجتمع.

يعن أن اللغة كما يرى أصحاب نظرية الاصطلاح والتواطؤ تمت مواضعة أي بصورة اعتباطية وأنه لايمكن للمتكلم إذا ما أراد أن يتواصل مع غيره من أفراد مجتمعه أن يخالف نظام اللغة المتعارف عليه بينهم، فمن المعلوم أن التفاهم بأي لغة من اللغات يتم بتوحد خصائصها وانسجام مسلكها واطراد عناصرها في غالب الأحيان بل اللغة طريقة إنسانية خالصة للاتصال الذي يتم بواسطة نظام من الرموز التي تنتج طواعية فاللغة نظام ولا يستطيع المتكلم أن يغير تتابع الكلمات إذا أراد الإفهام[1]، الملاحظ أن هذا النظام يتشكل من مجموعة من الأنظمة الفرعية ومجموعة من المستويات أو أركان الاتصال المترابطة والمتكاملة فيما بينها وهي: المستوى الصوتي، الصرفي ، النحوي، الدلالي، وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل لاحقا.[2]

المطلب الثاني:

اللغة العربية بين اللغة والاصطلاح:

يذكر اللغويون ومنهم ابن جني وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو إذا تكلم، أو من لغي يلغي (بكسر العين) في الماضي وفتحها في المضارع إذا لهج، ويقول ابن جني " أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها وقيل منها لغي يلغي ومصدره اللغا وكذلك اللغو قال تعالى: وإذا مروا باللغو مروا كراما. أي بالباطل وفي الحديث النبوي الشريف: من قال في الجمعة صه أي تكلم.

[1]- فلسفة اللغة واللسانيات، نور الدين النيفر، ط 1، 1993، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر، ص97.
[2]- أساسيات تعليم اللغة العربية، محمد كامل الناقة، فتحي يونس، ط 1، ص 8.

ومن لغة ابن جني السابق يفهم أي يرى اشتقاق اللغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغي يلغى بمعنى هذه، ففي القاموس تكلم ولغات ولغوت، وفي المفردات الناس بكذا أي لهج به، لهج العصفور بلقاه أي بصوته، ومنه قيل للكلام الذي يلهج به فرقة لغة، ويقال لغيت فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور " قال عبيدة لغو ولغا نحو عيب أعاب وأنشد (عن اللغة رفث التكلم)وقد يسمى كل قبيح لغو قال الله تعالى: لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا."[1] وقال أيضا: "وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه."[2] و قال أيضا: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما."[3] أي أن اللغو يستعمل في ما لا يعتد به، ومنه اللغو في الإيمان أي لا عقد عليه وذلك ما يجري وصلا للكلام بضرب من العادة.

اللغة في الاصطلاح: إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي أداة التي سجلت أفكارنا والتي تمثل خصائص الأمة، والتي استطاعت أن تكون لغة حضارة في التعريف بحالها والتي اشتركت فيها الأمم شتى كان العرب نواتها الأساسية، وقد اختلف العلماء في تعريفها بحيث أنه ليس هنالك اتفاق لضبط مفهوماللغة، ويرجع بسبب كثرة المفاهيم إلى ارتباطها بالعلوم والوقوف على تعريف واحد دون غيره ليس بالأمر الهين، ففريق منهم يعرفها على أساس عقلي أو نفسي وعلى رأسهم أبو فاتح ابن جني يقول: " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وهو تعريف دقيق يتفق إلى حد كبير مع تعريف اللغة عن الباحثين المعاصرين، فاللغة أداة الاتصال والتواصل ووسيلة أصلية لمعالجة شؤون مختلفة، كالبحث والتحليل والنقاش إنها مجرد لكل ما هو مادي ومعنوي... مايعني أن شعبا يستعمل اللغة ليعبر بها عما يؤمن ويشعر ويفكر به، فهي أداة لبلوغ أهداف ووظائف يرغب فيها المرء سواء كانت مكتوبة أو منطوقة أو كانت إشارة أو رمزا أو رسما، وكذلك هناك لغة الجسد ولغة الحركة والموسيقى والإيقاع، ولكل منها وظائف خاصة وأنساقها الفكرية الدلالية

[1]- سورة النبأ، الآية 35.
[2]- سورة لقصص، الآية 55.
[3]- سورة الواقعة، الآية 25.

والجمالية والفنية، وهي لغة تنشأ من الوظائف الاجتماعية والحاجة التي تلي رغبات الإنسانية منذ طفولته، ويعني أن اللغة صورة طبيعية موازية لاستخدامها في الحياة[1].

إن اللغة تدل على عقل الإنسان وسلوكه، أو على خصائص شعب ما إذ ترمز إلى مستواه الثقافي ورقيه الحضاري باعتبار أنها ضرورة اجتماعية وظاهرة ثقافية، تصل الأجيال ببعضها البعض، كما تعتبر اللغة ظاهرة سيكولوجية ثقافية اجتماعية مكتسبة لاصفة بيولوجية ولازمة للفرد تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق اختيار المعاني المفرزة في الذهن، وبهذا النظام الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل، وباللغة فقط أصبح الإنسان إنسانا وباللغة فقط تطورت الحضارة وتقدم العمران وبلغ الفعل الإنساني ذروته.[2]

المطلب الثالث:خصائص اللغة العربية ووظائفها

1ـ خصائصها: من أبرز الخصائص العامة التي تشترك فيها جميع اللغات البشرية ما يأتي:

أ.اللغة سمة إنسانية: بمعنى أنها خاصة بالإنسان دون بقية المخلوقات، وبها يتميز عنها، ذلك أنها مرتبطة بالقدرة العقلية التي تفتقر إليها هذه الأخيرة، حيث بإمكان الإنسان " أن يتصل بالأشياء مثله في ذلك مثل الحيوانات بالتذوق واللمس أو الشم أو الرؤيا... لكن الإنسان علاوة ذلك يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء وباللغة، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه."[3] ومن هنا فاللغة تحقق إنسانية الإنسان، ومعنى هذا أن اكتساب النظام الرمزي خاصية إنسانية، ومن هذا يعرف الإنسان بأنه حيوان رمزي، كذلك يمكن القول إن اللغة هي الإنتاج الأكثر غموضا للعقل الإنساني والأعظم خطورة.

ب. اللغة صوتية: بمعنى أنها تقوم على النطق ذلك أنه وعلى الرغم من تعدد اللغات وتنوعها فكلها تحمل خصائص مشتركة أولها وأهمها أن كل اللغات تتكون من أصوات

[1]ـ اللغة العربية إرث وإرتقاء الحياة، حسن جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، ص 15.
[2]ـ اللغة والفصحى والعامية، محمد عبد اللغة عطوات، دار النهضة، 2003، بيروت، ط 1، ص 10.
[3]ـ أساسيات تعليم اللغة العربية، محمد كامل الناقة وفتحي يونس، ص 8.

تصدرها أعضاء النطق الإنسانية، هذه الأصوات لتصبح ذات معنى يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد ومعين، مكونة من كلمات أو مجموعات من الكلمات هذه الكلمات أو مجموعها يجب أن تكون محل اتفاق أعضاء المجموعة اللغوية باعتبارها قيما رمزية تستحضر، ولو على وجه التقريب في أذهاننا أفكارا معينة، بمعنى إصدار الأصوات لا يكون كيفما اتفق وإلا وهي في مثل هذا الحال أشبه ما تكون بتلك الأصوات التي تصدرها الحيوانات، ومن هنا وجب أن تكون الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي ذات معنى.[1]

وفي هذا المعنى يقول **ذي سو سير** " اللغة مخزن للصورة السمعية والكتابة بالشكل الملموس لهذه الصور." مع الإشارة إلى ما هناك من الفروق بين المنطوق والمكتوب الذي وإن كان صورة من أول فهو يفتقد الكثير من خصائص المنطوق في العملية التواصلية كالتنغيم والنبر وغيرهما.

ج. اللغة نظام: جميع اللغات البشرية ما هي في الواقع إلا نظام، تتكون من مستويات ويتشكل من وحدات خاصة ورموز لها معان متعارف عليها، بها يتواصل الناس ويحصل الإفهام والتفاهم بينهم شريطة الالتزام بهذا النظام وما يتميز به من ضوابط وقواعد، فالمتكلم وإن كان ينتج اللغة فهو لا يتصرف بحرية بل متبع لنظم اقتضاها العرف الاجتماعي للغة، فهناك فرق بين مجرد الحديث باللغة والحديث بها موحدة الخصائص حسب نظام معين في نوادر الكلمات وشكلها الأول ومرجعه الشخصي والتالي طابعه اجتماعي، الأول هو عمل المتكلم والثاني مهمة الباحث.

د. اللغة سلوك مكتسب: اللغة ملك من يتعلمها ولا أثر فيها للوارثة أو الجنس، بمعنى أن اللغة سلوك مكتسب من المجتمع عن طريق الاحتكاك بالأفراد، يتمكن الإنسان من عاداتهم اللغوية الشائعة فيحاكيهم في استعمال الأساليب ويجاريهم في كلامهم فبمحاكاة وتقليد الناطقين من حوله وبالتدرج يكتسب لغة الوسط الذي يعيش فيه. ولعل من العوامل التي تساعد الفرد على اكتساب هذا السلوك، التعليم والتدريب المستمر تماما كما يكتسب المظاهر

[1]- المرجع السابق، ص 38.

الاجتماعية الأخرى من تقاليد وعادات وحتى تصبح اللغة بالنسبة له أمرا عاديا لا يكاد يشعر به حين يستعمله،[1]وإذا كان الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الماء والهواء، فهو لا يمكنه الاستغناء عن اللغة لأنها شيء لا غنى عنه، وهي ملك مشاع لكل الطبقات، فكل الناس يتكلمون ولكن ليس كل الناس يكتبون بقدر ما يتكلمون.[2]

هـ. اللغة النامية: لا تكاد تستقر اللغة أي لغة من لغات العالم على حال، فهي في تغيير مستمر تخضع في ذلك لأحوال الأفراد وتطور المجتمعات وهذا بفعل العديد من العوامل المختلفة الداخلية منها والخارجية والفكرية والسياسية والاجتماعية فاللغة إذن وثيقة الصلة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية ووسيلة نقل الثقافة التي تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعمالاته للغة، وبالنظر إلى وظيفة اللغة كتعبير عن الفكر يمكن اعتبار اللغة جزءا من علم النفس، كذلك تطرق اللغة كل أبواب النشاط الإنساني المشترك من عقيدة وحرب وسياسة وقانون وترفيه، واللغة إلى جانب ذلك تعمل كأداة للفكر الراقي فالخطابة والأدب والشعر والفلسفة والعلوم كل أولئك لابد أن تتناول عن طريق اللغة، وإذا كانت اللغة لا تكاد تنفصم ولا تنفصل عن كافة مناحي الحياة، فإن أدنى تغيير أو تطور في أي منها يؤدي بالضرورة إلى تغيير ولو نسبي، في اللغة، إلا هذا التغير في اللغة " يبقى محصورا في كلماتها القاموسية وحقولها الدلالية، كلما احتاجت اللغة إلى التعبير عن مفاهيم ثقافية وتكنولوجية جديدة"[3].

والقول : إن اللغة تتطور في قواعدها ما لا نذهب إليه، ولعل من أبرز ميادين هذا التغيير هو ميدان الكلمة " إذ تتبعنا تاريخ الكلمة في أي لغة، فسنرى شيئا عجيبا فمعاني الكلمة تتغير دائما وتنتقل من ميدان إلى آخر، فهناك معنى عام وآخر خاص، وهناك معناي حقيقة أخرى مجازية، وقد يكون للكلمة أكثر من معنى، وقد تؤدي عدة كلمات إلى معنى واحد الحقيقي إلى معنى مجازي، أي انتقال الكلمة من حقل دلالي آخر في لغة الكتابة، ولغة

[1]- في اللغة ودراساتها، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 1974، ص 5.
[2]- المرجع السابق، ص 43.
[3]- اللغة العربية والاتصال، عبد الجليل مرتاض، 16 جويلية 2014، ج وهران، ص 13.

الكلام التي يرى البعض أنها تميل إلى الجمود والتمسك بالتقاليد، فهذا قول مردود لأن لغة الكلام تتطور هي الأخرى ونميل إلى غالب الأحيان إلى اعتماد الصورة البيانية تواصلنا مع المحيطين بنا.

مما سبق تتبين أن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة وثيقة كما أقر بذلك **عبد القاهرالجرجاني** في حديثه عن النحو ومن جاء بعده من العلماء أمثال **تشو مسكي** ومن هنا فإن التغيير الفكري الحاصل في المجتمع ينعكس بالضرورة على اللغة، والعكس صحيح فنمو اللغة يعني نمو أهلها، وفي النمو حياة وتطور، وجمودها يعني جمودهم، وفي الجمود موت وانقراض، وعليه فاللغة هي التي تصنع الأمة ويصبح القول بأن الأمة هي التي تصنع اللغة.

2ـ وظائف اللغة: تتجلى أهمية اللغة العربية في الوظائف التي تؤديها، فقد حظي هذا الجانب باهتمام العلماء الذين حاول كل منهم بحسب المدرسة التي ينتمي إليها تحديد وضبط هذه الوظائف، فمنهم من نظر إليها من زاوية فلسفية نفسية، ومنهم من نظر إليها من زاوية اجتماعية، ومنهم من جمع في نظرته إليها بين الجانبين معا، ولعل ما يستوقفنا في بداية هذا المبحث قول ابن جني الذي جمع فيه بين تعريف اللغة العربية وبين وظائفها، وهو تعريف جامع يستخلص منه معظم وظائفها التي تشعب فيها المحدثون، وملخص قوله: " إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت إذا تكلمت."[1] فهو وبالإضافة إلى تلميحه لوظيفة التواصل الأساسية للغة التي نستنشقها في فعل (يعبر، يشير) إلى بقية الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة من خلال قوله: " أغراضهم" بصيغة الجمع مفرده "غرض" وهو بمعنى الحاجة التي تنطوي تحتها الحاجة النفسية الفكرية الشعورية الاجتماعية، وهو ما استعاض عنه المحدثون بلفظ الوظيفة فالاختلاف إذن في المصطلح.

وما أجمع عليه الباحثون بأن اللغة تؤدي وظائف متعددة بتعدد استعمالاتها وموقعها، إلا أن هذه الوظائف كما يرى رومان جاكبسون تتوزع على مكونات التواصل اللغوي والمرسل

[1]- الخصائص، ابن جني، تح محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، 1952، ص 33.

والمستقبل والإبلاغ والشفرة والاتصال والظرف، ومن هنا فبالنظر \إلى هذه العناصر مجتمعة يمكن التمييز بين وظيفة وأخرى لأنه قد تتلبس علينا الوظائف أحيانا ولا ملاذ لنا إلا الرجوع إلى موقف الملقي والمتلقي أو الظرف أو الرسالة أو السياق الذي ترد فيه، وهذا ما سنفصل فيه القول عند حديثنا عن وظيفة التواصل التي ارتأينا تأجيلها وإفرادها بمبحث خاص لأهميتها، ومن جملة وظائف اللغة نذكر:

1. وظيفة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات:

تعتبر اللغة من وجهة نظر بعض اللغويين الذين ينظرون إليها تابعة لميادين الفلسفة والمنطق والعواطف أداة لنقل الأفكار والأحاسيس، وكل ما يختلج بصدر الإنسان لأن هذا الأخير حينما ينطق ببعض الكلمات ذلك لكي يعبر أي ينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل إلى الخارج ومن هنا فاللغة تتيح لكل إنسان تبليغ تجربته الشخصية إلى نظائره ويشمل مفهوم التجربة كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه، سواء أخذت هذه التجربة صيغة يقين أم شك أو رغبة أو حاجة، ويمكن للتبليغ أن يتم في قالب إثبات أو استفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج من إطاره الخاص[1] وغالبا مايلجأ إليه المتكلم للتعبير عن عواطفه ومشاعره إلى الصورة فيجسدها في صور محسوسة مجسدة في التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، بما يضفي على لغته شيئا من الجمال بغية التأثير على المتلقي، وهذا ما سنتناوله لاحقا.

والجدير بالتنبيه أن هذه الوظيفة تتداخل مع بعض الوظائف الأخرى التي أشار إليها

هال يداي ومنها على وجه التحديد الوظيفة النفعية فاللغة تسمح لمستخدميها منذ الطفولة المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم وما يريدون الصول عليه من البيئة المحيطة، وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها وظيفة " أنا أريد" و الوظيفة الشخصية خلال اللغة يستطيع الفرد طفلا أو راشدا، أن يعبر عن رؤاه الفردية ومشاعره واتجاهاته نحو

[1]- التطبيق الصرفي،عبد الراجحي،دار النهضة العربية للطباعة،ط 1974/3.

موضوعات كثيرة، وبالتالي فهو يستطيع من خلال استخدامه للغة أن يثبت هويته وكيانه، ويقدم أفكاره للآخرين، والوظيفة الشخصية تؤدي عبر الكلام ويمكن أن تكون شفهية ومكتوبة كما في الأدب والشعر.[1]

2. تصريف وتنظيم شؤون المجتمع: للغة مغزى اجتماعي، وعليه فهي من وجهة نظر المدرسة الفكرية حقيقة اجتماعية باعتبارها أداة تساعد على تسيير شؤون المجتمع وتصريف أموره وتوجيه أفراده لما يتعين أن يكون من سلوكات، فالكلمة تستعمل في أداء الأعمال وانجازها وهذا ما يؤكده **يسبر سن** الذي يرى أن كلمات اللغة في الاختلاط الاجتماعي لا تستعمل في أكثر الأحيان لتنقل الأفكار أو لتوضيح أشياء من هذا القبيل أو حتى للتعبير عن الشعور، ولمنها تستعمل لتشييع الاشتياق إلى النزعة الاجتماعية والمصاحبة التي يهواها الإنسان.[2]

وقد اصطلح على تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة التنظيمية، إذ يستطيع الفرد من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين، بحيث يحثهم ويستشيرهم وينسق فعلهم وهي تعرف باسم وظيفة " افعل كذا ولا تفعل كذا " كنوع من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب أو النهي عن أداء بعض الأفعال، ويتجلى دور اللغة العربية في الناحية الاجتماعية أيضا في تقويم سلوك الفرد بما يتماشى وتوجيهات المجتمع باعتبارها حاملة للقيم والمثل التي توارثها جيل بعد جيل، كم أنها تقوم سلوكه اللفظي من حيث

النطق السليم للحروف والاستعمال الصحيح للمفردات واعتماد الأساليب الملائمة بمعنى: إن اللغة لها وظيفة " تحديد الفعل " أو التوجيه وفق قانون ثقافي هو الرمز، ففي القرآن مثلا يتم الزواج بمجرد النطق بألفاظ معينة، وكذلك في المحكمة حينما يقول القاضي " حكمت المحكمة بكذا.." فإن هذه الكلمات تتحول إلى فعل فاللغة تقطع الواقع وتركبه وتوزعه

[1]- اللسانيات العامة الميسرة علم التراكيب، سليم بابا عمر، الجزائر، ط 1990، ص 69.
[2]- أساسيات تعليم اللغة العربية، ص 11.

وتضبطه، أي أنها تبلور وتجارب الأمم في كلام مفهوم يمكن أن يستفيد منه لغير وتدون التراث الثقافي وتحتفظ به جيلا بعد جيل.

3ـ الوظيفة النفسية: تتمثل هذه الوظيفة عند **ثرونديك** في أحداث استجابات لدى المتلقين وإثارة أفكارهم وعواطفهم ومن هذا فهي ترتبط بقانون الاستجابة والإثارة وهذا بخلاف مايذهب إليه **يسبر سن**الذي يحصر هذه الوظيفة في الجانب الترفيهي للغة، كونها وسيلة من وسائل الترفيه والراحة للنفس، والتحرر من القلق والاضطراب لأن المرء حين يغني ويتكلم بحديث لا معنى له إلا بمجرد اللعب بالأصوات ليتمتع فليست الحياة اليومية جد كله، بل هناك فرص ينبغي أن لا نفكر فيها، وذلك حينما نترك العمل جانبا[1].

وفي مثل هذه الظروف لا تؤدي اللغة وظيفة حل المشكلات بل لها في هذه الأوقات وظائفها فهي وسيلة من وسائل الراحة وتقليل الاضطراب وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركه الحديث وإقامة علاقات تتأتى عن العلاقات التقليدية، ولكن مع هذا كله تبقى اللغة حتى في مثل هذه الحالات والظروف وسيلة التواصل، فالمرء حين يغني أو يتحدث بأي حديث فهو يتواصل مع المحيطين به، تلتقي هذه الوظيفة بما يسمى التخيلية التي تسمح للغة من خلالها للفرد بالتحرر نسبيا من ضغوط الواقع عن طريق وسيلة من صنعه، وتتمثل فيما ينتجه من أشعار وفنون وإبداع وقوالب لغوية، تعكس انفعالاته وتجاربه كما يستخدمها الإنسان للترويح والتغلب على صعوبة العمل وإضفاء روح الجماعة كما هو الأمر في الأغاني والأهازيج التي ترددها الأفراد في الأعمال الجماعية، أو عند التنزه ويمكن رصد الخصوصيات لكل خيال لغوي، ما يلاحظ أن أصحاب هذه المدرسة يفرقون بين وظيفة اللغة في حالة الجد وفي حالة غير الجد، فهي عندهم تواصلية في الحالة الأولى وغير تواصلية في الحالة الثانية، وهذا ما يفضه المنطق، لأن المرء يتواصل في حالة انفراده مع الذات ينتزعه من ذاتيته، فهو لا يتسلى من خلال تلاعبه بألفاظ اللغة كما يقول هؤلاء، وإنما يبث رسالة تحمل رأيا أو فكرة موجهة لفئة من المتلقين وهو أيضا لا يتحرر من ضغوط الواقع في

[1]- أساسيات تعليم اللغة، ص 12.

حالة الإبداع الأدبي وإنما يكون أشد التصاقا بهذا الواقع لأنه يريد أن يقول شيئا في لغة أدبية راقية فيها من الأخيلة والصور ما يأخذ بالألباب.

4ـ الوظيفة الاستفهامية:

الفرد ابن بيئته فهو يتخذ من اللغة أداة لمعرفة ما يحيط به واكتشاف أسررا ما يجري من حوله ومن هنا فهي ما يمكن أن ينطلق في عملية الوظيفة الاستفهامية بمعنى أنه الفرد يسأل عن الجوانب التي لم يعرفها في بيئته حتى يستكمل النص في معلوماته عن هذه البيئة ويكون صورة عنها.[1]

لا يمكن لهذا الفرد أن يعيش في هذا المحيط الذي يعد جزء منه من دون أن يتفاعل مع الآخرين فلا مناص إذن من استخدام اللغة كأداة للتواصل معهم لأننا نستخدمها ونتبادلها في المناسبات وإظهار الاحترام مع الآخرين، والجدير بالتنبيه أن لهاته الوظيفتين الاستفهامية والتفاعلية صلة وثيقة بالوظيفة التنظيمية كونهما جزء منه وإن عدها هال يدايوظيفتين منفصلتين.

وهناك وظائف أخرى للغة استلهمها جاكبسون من نظرية الاتصال وهي ست وظائف

الوظيفة التعبيرية، وظيفة النزوع، وظيفة إقامة الاتصال، الوظيفة الإنشائية، الوظيفة ما وراء اللسانية، الوظيفة المرجعية.

5ـ اللغة أداة للتواصل: مما عليه الإجماع أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أي التواصل بمعنى أنها وسيلة لتبادل الأفكار بين الأفراد ولعل في حديثنا عن الاتصال والتواصل، ما يوضح أكثر هذه الوظيفة.

أ. الاتصال:

[1]- فلسفة اللغة واللسانيات، نور الدين النيفر، ص 154.

لغة: من وصل ومن معانيها بلغ انتهى حيث يقال وصل، وصلت، الشيء من باب وعد وصلة أيضا وصل إليه يصل وصولا.

ـ اتصل بمعنى دعا دعوى الجاهلية وهو أن يقول: يا لفلان قال تعالى: " إلا الذين يصلون إلى قوم." أي يصلون.[1]

ومنه وصل الشيء بغيره فاتصل ووصل الجبال بغيرها توصيلا، وصل بعضها ببعض ووصلت شعرها بشعر غيرها ولعن الله الواصلة والمستوصلة.

ـ انتمى حيث يقال: ووصل إلى بني فلان واتصل وانتمى قال الأعشى:

أبكر بن وائل وبكر سبتها والأنوف رواغم

ب. التواصل: من تواصل على وزن تفاعل الذي يدل على المشاركة بين اثنين فأكثر مثل: تقاتل زيد وعمر، والتظاهر ومعناه الإدعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفاءه مثل: تناوم، تجاهل، تكاسل.[2] والدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئا فشيئا مثل: تزايد المطر. والمطاوعة وهو يطاوع وزن فاعل مثل: باعدته فتباعد.

ـ بين الاتصال والتواصل: من خلال ما سبق يتضح أن الاتصال والتواصل مشتركان في الجذر اللغوي (وصل) وكلاهما مصدر فالأول اتصال للفعل المزيد اتصل على وزن افتعل قلبنا فيه الواو تاءا على الشكل الآتي: وصل أو تصل اتصل تساوي اتصل، قلبت الواو تاءا ثم أدغمت في التاء المزيدة والثاني تواصل للفعل المزيد، تواصل على وزن تفاعل ومن هنا وعلى الرغم من كونهما لا يأتيان في غالب الأحيان إلا متلازمين، يختلفان في المعنى وإن كانت هذه الاشتقاقات لا تكاد تبتعد عن المفهوم لما تتركب منه شبة للاتصال من عناصر حددتها نظريات الاتصال والإعلام تحديدا واضحا، ويعود هذا الاختلاف لاختلافهما في البنية المورفولوجية فوزن افتعل وإن كان من معانيه، كما يقول الصر فيون الاشتراك فإن

[1]- اللغة العربية والاتصال، عبد الجليل مرتاض، جامعة الجزائر، ص 15.
[2]- أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر والنشر، بيروت، ط 2000، ص 678.

فعل اتصل لا يدل على هذا المعنى، لأنه لا يقع من فاعل واحد وهو فيما نرى لا يتعدى في معناه الوضعي مجرد إقامة علاقة مع شيء أو شخص، عن طريق وسيلة معينة أما الفعل الثاني تواصل فهو يدل كما سبقت الإشارة على المشاركة في القيام بالحدث بين أكثر من اثنين في وقت واحد، لا يمكن أن يحدث فعل التواصل من حيث الزمن إذا ما ربطناه في معناه الإنساني بفعل التخاطب بين شخصين، إلا بعد فعل الاتصال بمعنى أن التواصل يلي مرحلة الاتصال أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يكون هناك تواصل من دون اتصال، وإن كانت هناك مواقف خاصة واستثنائية يحدث فيها اتصال لكن من دون تواصل، وذلك إما لغياب أحد الطرفين في العملية التواصلية المتلقي والملقي أو لسلبيتها أو لغياب الرسالة ومن ذلك كما يحدث للبعض أحيانا أن يشكل رقما هاتفيا للاتصال بشخص، ولكن بمجرد أن يرفع هذا الشخص السماعة يلتزم الشخص الآخر بالصمت، مما لاشك فيه أنه اتصال وليس تواصلا[1]، ومن هنا يمكن القول إن الاتصال لا يغني أحيانا التواصل، في حين قد يعني التواصل،الاتصال وعليه فمفهوم التواصل أوسع من الاتصال وهو ما يخالف ما ذهب إليه عبد الجليل مرتاض الذي يقول: " إننا نؤكد ما ألمحنا إليه آنفا من أن الاتصال أكثر عموما من التواصل، والتواصل والمواصلة، ويرتبط التواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر، بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثل في الإبلاغ والإخبار من خلال المشاركة فيما يجري بين الأفراد.

وعليه فهو يخص التخاطب البشري، ويختص بدارسة العلاقات التي يفسرونها ويتأثرون بها، وهذا يعني أن التواصل يقوم على نشاطين هما: الكلام والاستماع، وهذان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس، باعتبارهما نشاطين مفيدين للجهاز العصبي، ويحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة الفعل البشري، والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق

[1]- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للنشر والطبع، ط 1974، ص 38.

الاتصال، وعليه يمكن الاستعاضة عنهما بالقراءة والرؤيا، ومن ثمة يمكن القول إن التواصل يقوم على الشروط الآتية: الكلام، الاستماع، القراءة، الرؤيا.

ومما سبق يتبين أن مفهوم التواصل ينحصر أساسا في الممارسة الفعلية للغة، شفوية كانت أم خطية، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق هذه الممارسة في الواقع الملموس والوسائل طبعا متعددة، فمنها لغة الكلام، الرموز، الكتابة، الإشارات إلى غيرها ومن هذه الوسائل ما يستدعي وسائل أخرى، ففي الكلام قد نحتاج إلى الهاتف وفي الكتابة نحتاج إلى الفاكس... وما إلى ذلك مما توفره التكنولوجيا الحديثة وهذا طبعا بحسب موقف وموقع من كل طرفي العملية التواصلية.[1]

المبحث الثاني:جهود عبد الجليل مرتاض في تعليمية اللغة العربية

المطلب الأول:تحديات تعليم اللغة العربية في الجزائر

أ- آثار الاستعمار سابغة شخصية المتعلم:

من أجل توضيح هذه المسألة يجب العودة إلى تاريخ تعليم اللغة العربية في الجزائر الاستعمارية، لأنه كانت دراسات قد أقيمت ضمن حدود ضيقة للجزائر،كما يسميها بعض الباحثين،وعموما ما أثبتت القوة الاستعمارية ببساطة وصراحة على أنها تنتج سياسة معادية للعربية،وان الإدارة الشعبية في التعويل على الطاقات الذاتية هما اللذان يضمنان بناء المجتمع القوي الذي يصنع الازدهار ويوفر أسباب الحماية الفعالة للوطن والمواطنين من طمس الهوية العربية،وبما أن إرادة الشعب الجزائري لم تكن متحررة أثناء الاستعمار،فلم يكن الجزائري قادرا على أن يعبر عن نفسه،وكم كان محزنا من أن الجزائري لم يكن يستطيع أن يبدي رأيه في مجال تعلمه العربية التي طمسها المعمر الفرنسي،فقد كان جوارا على اللغة

[1]- اللغة العربية والاتصال، عبد الجليل مرتاض، العدد 16، جويلية 2014، جامعة الجزائر، ص 18.

العربية في ظل الإمبراطورية الاستعمارية وهذا أمر، وان مر عليه زمن طويل إلا أن تأثيره لايزال ساري المفعول.

ومن الأمر لايقل أهمية عن القضايا المطروحة في الوقت الراهن،ولشرح هذا نحتاج إلى العودة إلى تدقيق طويل في وضع اللغة العربية في الجزائر،رغم أن هذا الاستعمار المباشر قد ولى،إلا أن أدوات الاستعمار من حكام وعملاء فكريين لايزالون يعملون على تثبيت لغة المستعمر[1]،إن من أهم أهداف الاستعمار نشر القيم والمبادئ،إضافة إلى ذلك نهب الخيرات الخاصة بالبلاد،لقد استهدف الاستعمار اللغة العربية بصفة بشعة في الجزائر،كما استهدف باقي مكونات الشخصية الجزائرية وحار بها لسانا وكتابة مع تداولها بين الناس بشتى الطرق،وفي الدراسة والتدريس.

ـ ب:واقع اللغة العربية قبل الغزو الفرنسي:

لايخفى على الجميع أن التعليم في الجزائر مر بظروف صعبة،مازالت تعاني منها حتى الآن،وأنها أنشأت إنشاء قبل غزو الجزائر من قبل فرنسا وذلك من أجل التواصل إلى فهم أفضل لما كانت عليه.

وعليه يمكن القول أن الثورة الفرنسية لم تحدث على الأقل في البداية قطيعة تامة مع الماضي في مجال الدراسات العربية،وعلى الرغم من إلغاء الامتيازات تعالت مؤسسة من مترجمين في خدمة السلك الدبلوماسي الفرنسي وجزا من نسل الأسر القنصلية المنصوص عليها في الشرق الأوسط،الذي لم يختفي بين عشية وضحاها،وذلك في محاولة لإعادة إحلال السلم بعد أعمال العنف من مفجري الثورة،وظلت الوضعية اللسانية في الجزائر مرتبطة بمدرسة اللغات الشرفية،إلى أن تم اسقلاعها شيئا فشيئا خلال القرن التاسع عشر.

[1]-وزارة التربية والتعليم والتخطيط بنظام الوحدات الدراسية،مجلة رسالة التربية ص 34.

وبدأت الشعارات الفرنسية تغزو المنطقة مثل:تكافئ المواطنين وتجديد الحياة الأخلاقية من أجل الاستخدام على نطاق واسع،من وطنية مشتركة ولغة وطنية موحدة،وبدأ الوضع الجديد يمنح فرنسا قوة السطو على اللغة العربية والسطو على شعبيتها،في ظهر البعض الذين كانوا يدعون لتنقية اللغة الفرنسية وترشيد النحو لها،حسب النظام الأساسي للمدرسة،فكان لكل صاحب كرسي الحق في كتاب نحوي للغة،وشمل ذلك ليس حتى فقط تجهير المدرسة بأدوات تعليمية،ولكن اقتراح نماذج منطقية حتى تحقق المدرسة الجديدة المهمة التعليمية والسياسية في آن واحد،ومع ذلك كله كان بعض الاهتمام يعطى للغة العربية قبل غزو فرنسا من أجل فهم لهجة الجزائريين فصاحة وكتابة،وهكذا كانت البنية الأساسية شبه منعدمة [1]،والإطارات البشرية لا عهد لها للتربية والتعليم.

ج ـ الواقع التعليمي بالجزائر بعد الاستقلال:

إن اللغة العربية في بلادنا هي اللغة الوطنية والرسمية، وهي من مقومات الشخصية الجزائرية،لذا يجب على أفراد الأمة التمسك بها كتمسكهم بالحياة ويعملوا على تطويرها وتعميمها باستمرار حتى تتبوأ مكانتها الحقيقية فهي لغة القرآن والحضارة،ومنذ استرجاع العربية والاستقلال نالت العربية حظها في برامج التعليم ومواقيته،كما احتلت موقعها في كل مراحل التعليم والتكوين ومستوياتها.

من بين جميع الدول العربية استوعبت الجزائر أثر أثقال الحقبة الاستعمارية نظرا لسطو تعليم الفرنسية من الحكومة الذي عزل معظم الحياة الفكرية لمدة 132،ومن خلال السياسة المتعسفة وجدت محاولات لقمع المواطن الجزائري والهوية الثقافية وإعادة صياغة وتشكيل المجتمع الجزائري الحر وفقا للخطوط الفرنسية،وقد كانت آثار هذه السياسة مع الأسف لاتزال تتردد أصداؤها في جميع أنحاء الجزائر بعد 1962،وربما أكثر وضوحا في

1ـالمرجع السابق ص:20

تركة نظام اللغة المزدوجة أي إلزامية تعلم اللغة الفرنسية على كل متعلم جزائري في جميع الأطوار واستعمالها في تدريس العلوم.

وقد صممت وبشكل صريح السياسة الاستعمارية الفرنسية البلاد من خلال فرض اللغة الفرنسية والثقافة،وأشار تقرير مكتوب عن الفرنسيين عشية الغزو الفرنسي في 1830،أن معدل معرفة القراءة والكتابة بالجزائر 40في المائة وهو معدل رائع حتى في المقاييس الحديثة،وكانت المدارس القرآنية هي المسؤولة في المقام الأول لمحو الأمية في الجزائر[1]،والقراءة يعني القدرة على تعلم القرآن الكريم،وبعد عشرين عاما،وصلت سوى نصف المدارس للعمل نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية من تفكييك نظام التعليم.

ولأجل الوقوف ولو بشق صغير على الحركة الإصلاحية التي اتبعتها الجزائر في مجال التربية والتعليم،لابد من النظر في قضية التعريب الذي انتهجته السياسة الجزائرية بعد الاستقلال.

لقد أقامت فرنسا جهازا تربويا في الجزائر من أجل القضاء على اللغة العربية،"كما أنه ليس غريبا علينا أن فرنسا قد ركزت سياستها في الجزائر منذ بداية الاحتلال على طعن الشخصية القومية للشعب الجزائري في:

ـ **أولا:**لغتها القومية وهي اللغة العربية.

ـ**ثانيا:**تراثها الثقافي والحضاري.

وذلك حتى تعيق عملية البعث القومي العام للشعب الجزائري التي يمكن أن تنهض في يوم من الأيام،ومن هنا يتضح لنا لماذا أقامت كل جهازها التعليمي في الجزائر على أساس القضاء على اللغة العربية،وكذلك القضاء على الثقافة العربية الإسلامية بقصد قتلها معا،حتى تتكون الأجيال الجزائرية الناشئة تكوينا مشوها وبالتالي تنشأ تلك الأجيال بلا صلة

[1]مجلة التربية والتكوين،ص:252

أي يجهلون لغتهم العربية وثقافتهم،فنشأت القيادة الفرنسية،منذ بدايات الاحتلال حربا على اللغة العربية تمثلت في إغلاق معاهد التعليم وتقليص عدد الكتاتيب القرآنية وكذلك عدد المساجد التي أمكنة التعليم"[1]،ولعلهذا مايفسر لنا السياسة الاستعمارية حيث يبادر المستعمرون منذ البداية الى توجيه سهامهم المسمومة إلى اللغة والثقافة،لهذا عاشت الجزائر في طوال فترة الاحتلال المظلمة عيشة انعزال تام عن البيئة الجزائرية،لأنها كل شيئ كان بالنسبة لها أجنبي يهتم بقضايا بعيدة كل البعد عن اهتمامات وقضايا البيئة الجزائرية والثقافة العربية.

"لقد كان الهدف من التعليم في عهد الاحتلال أن تكون فرنسا جيلا بدون قومية يتلائم والسياسة الفرنسي،أي جزائريين يكونون في خدمة أهداف الاستعمار.

مهما حاولت فرنسا أن تنسي الشعب الجزائري أصله وتمحو لغته العربية التي كانت في أيام العزة والكرامة سيدة الميدان،إلا أنه ظل مستبسلا ثابتا مسميتا في تشبثه بلغته العربية،التي يعرف يقينا من أنها مفتاح باب عزته ومصدر قوته ونبع حضارته وإطار حصانته،والعروة الوثقى في ربط وحدته وذلك إذا أراد أن يعيش محترما بين أمم المعمورة"[2].

ـ المطلب الثاني:الجهود العلمية للباحث "عبد الجليل مرتاض "في اللغة العربية.

ـ يعد عبد الجليل مرتاض واحدا من أعمدة البحث العلمي اللغوي والأدبي في الجزائر والوطن العربي،وأحد الرموز المناصرة للغة العربية،عمل دون هوادة على تنميتها وتطويرها بما أنجزه من بحوث وبما كونه من إطارات هم الآن منتشرون في العديد من المؤسسات الوطنية والدولية،تنوعت كتاباته بين البحث العلمي واللغة والنقد والترجمة والرواية،مست قضايا المفكر بين التراث والحداثة وجاءت كتبه العلمية لتوجه أنظار الباحثين في التراث العربي في المجال اللساني على وجه الخصوص،وقد ألح كثيرا على ضرورة الرجوع إلى

[1]وضع العربية خلال العهد الاستعماري،محمد ميلي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ،2007 ،ص:57
[2]أصول التربية والتعليم ،تركي رابح،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1982ص:295.

عمق هذا التراث والبحث فيه،ظهر ذلك قويا في الشق العلمي من انجازاته في أكثر من تصريح مباشر،وقد قال:"أعتقد أن الحاجة العلمية لبحث التراث العربي الإسلامي عامة والحركة اللغوية خاصة لاتزال قائمة ومبكرة،على الرغم من المجهودات العلمية الجادة التي بذلها في هذا المجال علماء العرب وأجانب منذ وقت بعيد وحتى اليوم،وليس استمرار البحث العلمي في هذا الحقل اللغوي عجيبا بل العجب أن تتوقف عجلة البحث وحركة العمل،وما استمر البحث الأكاديمي في هذا التراث اللساني العربي الأصيل إلا دلالة على قوته وعراقته وأصالته،مؤكدا أن البذور والجذور التي أسسها له أولائك الفقلغويون،تنم عن بنيات صحيحة ومناهج سليمة لايشوبها وهن"[1]،ولقد أشاد عبد الجليل مرتاض في غير من مناسبة بدور العرب الفعال في ابتكار مناهج علمية للدراسة اللغوية،فيرى أنهم تمكنوا في وقت مبكر من انتهاج فقلعي شامل،يدرسون بفضله جوانب مختلفة للغة العربية.والمدهش في تلك الدراسات أنها اعتمدت على إقامة الحجة العلمية بالعودة إلى أرقى المدونات القديمة في محاولة الإثبات صفاء العربية وكذا حمايتها من التحريف ـ على رأي جورج مونان ـ ولعل ذلك واضح في كتاب سيبويه وكتب أخرى وقد اختار علماء آخرون المنهج المقارن لدراسة العربية في مقابل اللغات العالمية الأخرى،ويعطي أمثلة ببعض الكتب الهامة كالجمهرة لابن دريد،ومن جهة ثانية تتطرق عبد الجليل مرتاض في دراسته إلى جهود العلماء المحدثين،ولم يكتف في بحوثه بحصر الإيجابيات بل كثيرا ماعرج على النقائص مقترحا الحلول خصوصا فيما يتعلق بقضايا المصطلح وإشكاليات الترجمة،كما اهتم عبد الجليل بمسألة تيسير النحو العربي التي شغلت المحدثين منذ أن تم تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء،،وسجل رأيا نال اهتمام الدراسين يقضي بعدم حذف أي باب من أبواب النحو القائمة وإنما يحذف وتلك الاستطرادات الفلسفية بدون مبالغة،ليصبح التيسير قراءة معاصرة وإعادة بناء النحو بما يلائم العصر،ويحذر كثيرا من الخطورة الارتجال في المواضيع العلمية التراثية،وللتقرب أكثر من أفكار هذا الباحث وإضافاته العلمية للدرس اللغوي العربي والنقدي،يقوم مخبرا تحديث النحو العربي وتحليله تحليلات إحصائية في العلوم الإنسانية وإعداد معجم موحد لها بجامعة

[1]- في عالم النص والقراءة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2006

تلمسان،وذلك بتنظيم يوم دراسي وطني مسوم بالجهود العلمية ...،ومن بين جهوده نذكر:منهج عبد الجليل مرتاض في صياغة المتن اللغوي"[1].

[1] المرجع نفسه ص 106

خاتمة

وفي الأخير عملنا على تسجيل جملة من النتائج التي خلصنا إليها،وهي كالتالي:

1- اللسانيات هي الدراسة الموضوعية للغة العربية،وهي كل ما يدرس بطريقة علمية.

2- إن الدراسة العلمية للسانيات لابد أن تتوافر فيها سمات ضرورية ،وهي النظامية والغرض والدقة والشمول والتحقق.

3- إن اللسانيات النظرية هي العلم الذي يدرس الظواهر اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية بصفة أساسية .

4-إن كل من اللسانيات التطبيقية والنظرية تتمثل في علوم مختلفة،فالأولى تتمثل في اللسانيات الجغرافية والاجتماعية والنفسية،أما الثانية فتتمثل في علم الأصوات وعلم الصرف والنحو والدلالة،وكل عنصر من هذه العناصر يمثل لنا فرع من فروع اللسانيات التطبيقية والنظرية.

5- تكمن أهمية الموروث اللساني في كيفية التفرقة بين اللغة كواقع وتنظيم قائم بذاته موزع ضمنيا على الجماعة ،وبين الأداء كاختيار حر نابع من الفرد المتكلم.

6- إن القضايا التي تثيرها اللسانيات هي قضايا لسانية تحليلية،وقضايا لسانية استعادية.

7- تعرفنا على السيرة العلمية لعبد الجليل،وجميع مؤلفاته التي قام بها .

8- قمنا بدراسة حول منهجه ومن خلال هذه الدراسة بالضبط خلصنا إلى جهوده العلمية التي وجدت في كتبه الثلاث :في رحاب اللغة العربية ،دراسة في الساميات واللهجات العربية القديمة،والعربية بين الطبع والتطبيع.

9- عند دراستنا لكتاب عبد الجليل "في رحاب اللغة العربية" اتضح لنا بأن الكاتب قد قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام وكل قسم خصه بعنوان،ففي القسم الأول تحدث عن أصالة النحو العربي من عدمها،وفي القسم الثاني تعرض إلى موضوع مقاربات تشخيصية للإشكالية اللغوية،وفي القسم الثالث تحدث عن الأنظمة اللسانية التي كان يراها مهملة في اللغة العربية ،ليعرج على موضوع في مجال ما يعرف بالقبولية في العربية بين الحداثة اللسانية والتراث .

10- استنتجنا في الأخير أنه ختم أقسام هذا الكتاب بقسم يجعله خاتمة تلك الأقسام كلها ،ويقدم فيه بصمات قد تركها الإستشراق في اللغة العربية ،بحيث أن عبد الجليل يمزج عنده الدرس اللغوي باللساني في أغلب ما يكتب من بحوث.

11- ومن خلال هذه الدراسة وصلنا إلى حقيقة،وهي أن عبد الجليل لا يحبس نفسه في منهج واحد معين،بل يلجأ بحسب طبيعة الموضوع إلى المزج بينهما ،ليستفيد منها جميعا ويفيد القارئ في آن واحد.

12- وعند دراستنا أيضا لكتابه الثاني "دراسة في الساميات واللهجات العربية القديمة "فتوصلنا إلى الحديث عن منهجه في هذا الكتاب فهناك منهجان بارزان وهما:المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

13- إتبع عبد الجليل مرتاض في هذا الكتاب منهجية تقوم على تقسيمه إلى أبواب وفصول بحيث جعله في بابين كبيرين:في الباب الأول تحدث عن ملامح تركيبية في اللغات السامية وتحت هذا الباب تنال ثلاثة فصول،الفصل الأول:قدم فيه فذلكة تاريخية في السامية والساميين،والفصل الثاني:تكلم عن العلاقة اللغوية بين الساميات والفصل الثالث:تحدث عن التراكيب اللسانية في اللغات السامية،أما الباب الثاني بعنوان التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة وذالك في أربعة فصول،الفصل الأول في البنية السانتكسية،والفصل الثاني في البنية المورفولوجية،والفصل الثالث في البنية المعجمية والفصل الرابع في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب.

14- وما يمز منهجه في كتابه هذا هو مراعاة الترابط العضوي والتسلسل المنطقي بين الفصول وكذالك بين البابين.

15- واستنتجنا أيضا من خلال دراسة منهجه في كتابه العربية بين الطبع والتطبيع فمنهجه واضح بدأ الكتاب بمدخل وقسم الكتاب إلى أسام دون أن يسميها أبواب أو فصول،وقسم كتابه هذا إلى قسمين كبيرين تضمن القسم الأول الحديث عن التراكيب،أما القسم الثاني تحدث عن عوامل التنمية اللغوية في اللغة العربية .

16- والمميز في هذا الكتاب اعتماده على الشواهد النقلية من كلام العرب سواء كانت شعرا أو نثرا.

17- إن للغة علاقة وطيدة بالكلام واللسان ،فالأول نوع من السلوك الفردي ،أما الثاني فهو يدل على النظام اللغوي ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر.

18-إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية الإنسان وقد استطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة ،واشتركت فيها أمم شتى كان نواتها الأساسي هم العرب.

19- من أبرز خصائص اللغة العربية أنها سمة إنسانية وصوتية ونظام وسلوك مكتسب وهي لغة نامية .

20- تكمل وظائف اللغة العربية في وظيفة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات والوظيفة النفسية والاستفهامية واللغة هي أيضا أداة إتصال وتواصل .

21- وبالرغم من أن عهد الاستعمار المباشر قد ولى ،إلا أن أدوات الاستعمار من حكام وعملاء فكريين ما زالو يعملون على تثبيت لغة المستعمر ،ونشرها بين الناس وإضعاف اللغة العربية .

22- إن التعليم في الجزائر والمدرسة الجزائرية مرت بظروف صعبة ،ومازالت تعاني منها حتى الآن.

فهرس المحتويات

عبد الجليل مرتاض

فهرس المحتويات

- مقدمة :..... أ – ز .
- مدخل ....01 – 13 .
- الفصل الأول .....15 – 70 .
- المبحث الأول ....15 – 53 .
- المطلب الأول .....16 – 19 .
- المطلب الثاني ....20 – 42 .
- المطلب الثالث .....43 – 44 .
- المطلب الرابع .....45 – 53 .
- المبحث الثاني ....54 – 69 .
- المطلب الأول ....55 – 58 .
- المطلب الثاني ....59 – 64 .
- المطلب الثالث .....65 – 66 .
- المطلب الرابع .....67 – 69 .
- الفصل الثاني .....70 -94 .
- المبحث الأول .....71 – 86 .
- المطلب الأول .....72 – 73 .
- المطلب الثاني .....74 – 75 .
- المطلب الثالث .....76 – 86 .
- المبحث الثاني .....87 – 94 .
- المطلب الأول .....88 – 92 .
- المطلب الثاني .....93 – 94 .
- خاتمة .....95 – 98 .
- الملاحق ..... - .
- قائمة المصادروالمراجع ..... - .
- فهرس المحتويات .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- الزجاجي:الإيضاح في علل النحو، دار العروبة.

- ابن فارس : فقه اللغة،بدران للطباعة والنشر بيروت،ط -1963 - .

- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،دار المعارف،مصر- 1971 - .

- أحمد عبد المؤمن : اللسانيات،النشأة والتاريخ ، ط -ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

- أنيس إبراهيم "في اللهجات العربية"،مكتبة الإنجلو المصرية ، ط - 1 - الجزائر 2005.

- أحمد سليمان ياقوت "منهج البحث اللغوي" دار المعرفة للطبع،2003.

- الزمخشري "أساس البلاغة"،دار الفكر ط1 ، 2000.

- ابن جني ، تحقيق محمد علي نجار ، الخصائص، ج1، دار الكتب المصرية، 1952.

- تمام حسان "اللغة بين المعيارية والوصفية" دار الثقافة 1980.

- تمام حسان " الأصول " دراسة ابستومولوجية للفكر العربي ،الدار البيضاء ، ط1.

- تركي رابح "أصول التربية والتعليم " ديوان المطبوعات الجزائر .

- حلمي خليل "دراسات في اللسانيات التطبيقية" دار المعرفة .

- حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي" الديوان الوطني.

- ديسوسير "محاضرات في الألسنية " دار نعمان للثقافة ، بيروت 1988.

- سيد سليمان عليان "في النحو المقارن بين العربية والعبرية، ط1 -2002.

- سليم بابا عمر " اللسانيات العامة الميسرة"، - 1990- .

- عبد السلام المسدي " اللسانيات وأسسها المعرفية" الدار التونسية، ط1 ، 1986.

- عبد الجليل مرتا ض " في مناهج البحث اللغوي " دار القصبة ط - 2003-

ـ عبد اللطيف الفرابي "معجم علوم التربية" مطبعة النجاح الجديدة، المغرب .

ـ عبد الجليل مرتا ض "في رحاب اللغة العربية" ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2007.

ـ عبد الجليل مرتا ض " التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " دار هومه الجزائر.

ـ عبد الجليل مرتا ض " مفاهيم لسانية ديسوسورية" دار الغرب وهران ط، 2005.

ـ عبد العزيز مطر " علم اللغة وفقه اللغة " قطر ، ط1، 1985.

ـ عمر الشيباني "مناهج البحث الاجتماعي " طرابلس، 1985.

ـ عبده الراجحي " علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية" الإسكندرية 1995.

ـ عبد الجليل مرتا ض " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" ، دار الغرب 2003.

ـ عبد الجليل مرتا ض "العربية بين الطبع والتطبيع"

ـ عبد الجليل مرتا ض " اللغة العربية والاتصال " العدد 16، الجزائر، 2014.

ـ عبد الغفار حامد هلال " اللهجات العربية " النشأة والطور، 2011.

ـ عبد الراجحي " التطبيق الصرفي " دار النهضة العربية للطباعة، ط 1. 1974.

ـ فؤاد زكريا "الجذور الفلسفية للبنائية" حولية كلية الأدب ، الكويت 1980.

ـ فؤاد زكريا " التفكير العلمي " سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1978.

ـ كامل حسون القيم "مناهج وأساليب كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية" ،مركز البحوث، بيروت .

ـ ميشال زكريا "الألسنية " علم اللغة الحديث،قراءة تمهيدية،ط ـ 2 ـ ،1983.

ـ ميشال عاصي "دراسات لغوية في ضوء الماركسية " دار ابن خلدون بيروت .

ـ محمد كامل الناقة " أساسيات تعليم اللغة العربية" ط1.

ـ محمد عبد الله عطوات "اللغة والفصحى والعامية" دار النهضة بيروت.

ـ محمد شريف عباس وزير المجاهدين " اللغة العربية من محنة الكولونيالية " المجلس الأعلى للغة العربية .

ـ محمد عيد " في اللغة ودراساتها " القاهرة 1974.

ـ ناهد أحمد الرياض " مناهج البحث في علوم المكتبات 1979.